قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية
مجلة البحوث والدراسات الاسلامية
الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

أصول التفسير عند التابعين (دراسة تأصيلية)

The Principles of Tafsir According to the Tabi'un (A Foundational Study)

أ.م. د. شعيب رعد فرهود/ كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة *

bstract

The interpretation of the Quranic text has followed a clear and distinct methodology, each according to its contemporary stage, where time, place, and linguistic and scientific realities had a prominent influence on each stage. Among these stages, and the most influential, is the stage in which the legislative methodology was established and codified .Its first building blocks were during the time of the Followers (may Allah be pleased with them), when interest in writing appeared in the fields of Islamic sciences, until their interest reached its peak after writing down the interpretation, so that they established the principles and rules for this science - even if it was not in the scientific terminology known by it now, so they continued and conveyed. Therefore, this research is an attempt to trace the rules adopted by scholars after the Successors back to their origins, establishing and grounding them in their foundations. This is done by explaining the foundational methodology employed by the Successors .Considering monitoring the principles and rules they followed, specifically in interpretation, according to a scientific, analytical, and objective foundational study, to outline the features and foundations of their interpretation.

Keywords:

الملخص

حظي تفسير النص القرآني، بمنهج بيِّن وواضح، كل حسب مراحله العصرية، حيث كان للزمان والمكان والواقع اللغوي والعلمي التأثير البارز في كل مرحلة. ومن تلك المراحل وأشدها أثراً، هي المرحلة التي وضع فيها المنهج التشريعي تقعيداً وتأصيلاً، إذ كانت لبناته الأولى زمن التابعين (رحمهم الله) حيث ظهر الاهتمام بالتدوين في مجالات العلوم الإسلامية، حتى بلغ ذروة اهتمامهم بعد تدوين التفسير أن يأسسوا الأصول والقواعد لهذا العلم - وإن لم يكن على المصطلح العلمي المعروف به الآن، فواصلوا وأوصلوا.

(وعليه)، فإن هذا البحث هو محاولة لإيضاح القواعد التي أعتمدها العلماء بعد التابعين بدراسة أصولها ، تقعيداً وتأصيلاً. ببيان المنهج التأصيلي لدى التابعين، في ضوء رصد الأصول والقواعد التي ساروا عليها وتحديداً في التفسير، وفق دراسة تأصيلية تحليلية علمية وموضوعية، لرسم معالم وأسس التفسير لديهم.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:٢٠٢٦/١/٢٢م

المراجعة:٢٠٢٦/١/٢٨م

القبول: ٢٠٢٦/٢/١٠م

الكلمات المفتاحية:

اصول التفسير – التابعين– تأصيل – قواعد

* Corresponding author at: **Asst. Prof. Shuaib Raid Farhood, PhD/Imam Adham University College**

١.المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن المعلوم أن منزلة التفسير بين العلوم حظيت باهتمام بارز بين أهل العلم، وذلك لتعلقه بكلام الله تعالى، فهو من أشرف وأجلّ العلوم قدراً، فبلغت عنايتهم به وتنوعت وتباينت الطرق والاساليب، متجهة نحو مقصد واحد، وهو تفسير النص القرآني، وفق منهج بيِّن وواضح، كل حسب مراحله العصرية، حيث كان للزمان والمكان والواقع اللغوي والعلمي، التأثير البارز في كل مرحلة.

ومن تلك المراحل وأشدها أثراً، هي المرحلة التي وضع فيها المنهج التشريعي تقعيداً وتأصيلاً، إذ كانت لبناته الأولى زمن التابعين (رحمهم الله) لِما لهم من صلة علميِّة بجيل الصحابة (رضي الله عنهم)، حيث ظهرت الاهتمام بالتدوين في مجالات العلوم الإسلامية، وكان أبرزها: تدوين الحديث النبوي آنذاك والتفسير باب من أبوابه، حتى استقل التفسير كعلم مستقل، فبلغ ذروة اهتمامهم به أن أسسوا الأصول والقواعد لهذا العلم - وإن لم يكن على المصطلح العلمي المعروف به الآن-، بل على حسب ما فهموه أو نقلوه من الصحابة (رضي الله عنهم) الذين عاصروا الرسالة وفهموا التنزيل، فواصلوا وأوصلوا.

وعليه، فإن هذا البحث هو محاولة لإرجاع المعارف- الأصول- التي أعتمدها التابعون، تقعيداً وتأصيلاً. ببيان المنهج العلمي التأصيلي لديهم، في ضوء رصد لتلك الأصول والقواعد التي ساروا عليها وتحديداً في التفسير، وفق التحليل العلمي والموضوعي لها، لرسم معالم وأسس التفسير لديهم.

١.١.مشكلة البحث:

طبيعة البحث اعتمدت على التحليل الموجز للأصول والأسس المنهجية التي سار عليها التابعون في تفسيرهم للقرآن الكريم، حيث تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن أبرز التساؤلات الآتية:

- ما الأصول التي اعتمدها التابعون في التفسير، وهل أسهمت في بناء منهج تفسيري؟
- كيف تعامل التابعون مع النص القرآني فهماً ومنهجاً ؟
- ما أبرز القواعد التفسيرية المستنبطة وفق منهجهم التفسيري؟ وهل أثرت في مناهج التفسير لمن بعدهم؟

١.٢.أهداف البحث:

يهدف بحثنا لتحقيق عدة جوانب، أبرزها:

- تحليل اساليبهم التفسيرية وبيان قواعدها المنهجية.
- الوقوف على نماذج تفسيرية لكبار بعض التابعين.
- بيان أثر الأصول في المدارس التفسيرية لمن بعدهم.

١.٣.أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في عدة اعتبارات، أبرزها:

- أهمية التفسير في تلك المرحلة التي مثلها جيل التابعين.
- إبراز الدراسة التأصيلية في أصول التفسير لدى التابعين.
- بيان القيمة العلمية لمناهج التابعين، لتكوين انموذجا منهجياً في التفسير
- الحاجة الماسة لربط علم التفسير بمنهجه الأصلي – المأثور- في ظل تعدد المناهج الحديثة.

وقد اقتضت منهجية الدراسة أن تكون على: مقدمة وأربعة مباحث، فالمبحث الأول: التابعون وما يتعلق بهم في التفسير، والمبحث الثاني: مصادر التفسير عند التابعين، والمبحث الثالث: القواعد والأصول التفسيرية عند التابعين، والمبحث الرابع: أثر أصول التابعين في المدارس التفسيرية اللاحقة. ومن ثم الخاتمة وأهم النتائج.

وفي ضوء ما تقدّم، فإن الدراسة في هذا المجال احتاج مني الاطلاع الواسع والقراءة المعمقة، لغزارة المادة وتوسع آفاقها. وعليه فإن جهدي بشري لا يخلو من النقص أو السهو، فإن اصبت فذلك من فضل الله، وإنْ اخطأت فمن نفسي، والحمد لله رب العالمين.

٢.المبحث الأول: التابعون وما يتعلق بهم في التفسير

٢.١.المطلب الأول: تعريفات لابد منها (التابعي) ، (التفسير) ، (أصول التفسير)

أولًا: التابعي: تعددت وتنوعت تعريفات أهل العلم فيه، بين موجز له ومسهب فيه، ويمكن إجمال تلك التعريفات بإيجاز، بأن التابعي[(١)]:

هو من لقيَ صحابياً، وروى عنه، وإن لمْ يصحبه، ومات على الإسلام[(٢)]، إلا أن الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣ هـ) وثق قيداً فاشترط صحبته، لا مجرد اللقاء

---

(١)- التابعي (لغة): من تَبِعْتُ الشَّيْءَ تَبَعاً: سِرْت في إِثْرِهِ، واتَّبَعَهُ وأَتْبَعَهُ وتَتَبَّعَهُ قَفَاه. ينظر: لسان العرب (فصل التاء) ٢٨/٨.

(٢)- ينظر: مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان- مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٥٩م. ص١٤٢، واختصار علوم الحديث، لابن كثير- مطبعة حجازي، القاهرة- ١٣٥٥هـ ص١٩١.وتدريب الراوي شرح تقريب النووي- للسيوطي- المكتبة العلمية القاهرة ١٩٦٦م ص٢١٢.

فحسب[١].(وهو ما أميلُ إليه). حيث فهمتُ من قيد الخطيب (رحمه الله) حصول الصحبة التي تتحقق بها حقيقة التلقي والرواية، وربما قصد به ضبط طبقة التابعين ومنع دخول من لم تثبت له رواية عن الصحابة في عدادهم، بوصفهم حلقة في سلسلة نقل العلم، فلا يتحقق ذلك إلا مع صحبة تثمر سماعاً وأخذًا.[٢]

ثانياً: التفسير:[٣]: هو علمٌ يُفهم به كتاب الله، المنزل على نبيه (صلى الله عليه وسلم) واستخراج أحكامه وحكمه[٤].

بمعنى: علمٌ يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك[٥].

ثالثاً: أصول التفسير: هو علمٌ يهتم بدراسة أحوال القرآن الكريم، بتناوله الجوانب والأدوات والقواعد والمقدمات الاصلية التي لا يستغني المفسر عنها، والتي يهتدي بها لفهم التفسير،وما يقع فيه من الاختلاف، وكيفية التعامل معه.[٦]

٢.٢.المطلب الثاني: طبقات التابعين وجهدهم في نقل التفسير خصوصاً.

أولاً: طبقات الحفاظ: اعتُمد في نقل القرآن الكريم بداية الأمر على التلقي والمشافهة، وأخذه ثقة عن ثقة، وإماماً عن إمام، إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، وحرص التابعون على نقله، فبلغ أعلى درجات التقصي والاهتمام، فهذا التابعي الجليل مجاهد بن جبر، قال: عرضتُ المصحفَ على ابن عباس (رضي الله عنهما) ثلاث عَرْضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقِفه عند كل آية منه وأسأله عنها. وهذا مسروق، قال: كان عبدُ الله بن مسعود يقرأ علينا السُّورة، ثم يحدِّثنا فيها ويفسِّرها عامَّة النهار.[٧]

وعليه: فإن معرفة طبقات الحفاظ من الصحابة أولاً ومن التابعين ثانياً، ضروري جداً لفهم المتلقي المباشر من غيرهم، أبينه بشيء من الإيجاز، وفق الترتيب الآتي:

- طبقات الصحابة الحفاظ :الذين منهم: عثمان، وعلي، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري وبعضهم من كان من كُتَّاب الوحي أومن جمع المصحف أو شارك في نسخها[٨].
- طبقات التابعين: الذين أخذوا عن أولئك الصحابة الكرام، منهم: ابن المسيب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان بن يسار، وأخوه عطاء، وزيد بن أسلم ومسلم بن جندب، وابن شهاب الزهري، وعبد الرحمن

---

(١)- ينظر: تدريب الراوي شرح تقريب النووي ص٢١٢، وتفسير القرطبي ٢٣٨/٨، وحياة التابعين ٢٢/١.

(٢)- وأرى ضرورة توضيح ما ملتُ إليه، بإيجاز، فأقول:

- العبرة من ذلك الأخذ والتلقي لا مجرد اللقاء، ليخرج من ذلك من رآه صغيراً ولم يعقل أو من لقيه لحظة ولم يسمع منه وهذا لا يحقق معنى الطبقة العلمية التي تنقل العلم بل الطبقة الزمنية.
- التابعي هو امتداد لوظيفة الصحابي في التبليغ، فالصحابة نقلوا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) والتابعين نقلوا عن الصحابة (رضي الله عنهم)، إذن لا بُد من اتصال علمي وصحبة تثمر سماعاً وتعلماً، لا مجرد إدراك زماني.
- الاحتراز من إدخال من لم تثبت له رواية، فلو لم يُشترط الصحبة لدخل كل من عاش في زمن الصحابة على أنه تابعي ولم يثبت أنه أخذ عنهم.
- مصطلح التابعي الأجدر أن يكون اصطلاحياً لا لغوياً -من تبع الشيء تتبعاً: سرت على إثره- وهذا اضبط في الجرح والتعديل.
- وأرى أنَ القيد الذي وضعه الخطيب (رحمه الله) يمنع التوسع الغير منضبط في مفهوم التابعي. (هذا ما بَدا لي، والله اعلم)

(٣)- التفسير (لغةً): مصدر فسَّر، من الفَسْرِ: وهو بيان وتفصيل للكتاب وفَسَرَّه فُسِراً، وفَسَّرَهُ تَفْسِيراً.... وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو التفسرة، والفسر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. ينظر: كتاب العين ٢٤٧/٧، والمحكم والمحيط الاعظم ٤٨٠/٨-٤٨١، ولسان العرب ٥٥/٥.

(٤)- ينظر: البرهان في علوم القرآن ١٣/١.

(٥)- هذا ما عرفه أبو حيان، وزاد تفصيلاً لذلك، فقال: فقولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات. وقولنا ومدلولاتها، أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب شمل بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا، ويصد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز. وقولنا، وتتمات لذلك، هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك.البحر المحيط في التفسير ١/ ٢٦.

(٦)- ينظر: فصول في أصول التفسير، للدكتور مساعد الطيار ٢١/١.وجواب السائلين عن أبرز مباحث علوم القرآن ومناهج المفسرين- للدكتور شعيب رعد. ص٢٩.

(٧)- ينظر: تفسير الطبري ٨١/١-٩٠.

(٨)- ينظر: المختصر في علوم القران للدكتور غانم قدوري، دار اطلس الخضراء- الرياض- ط١- ٢٠٢٢. ص٦٠.

بن هرمز، ومعاذ بن الحارث المشهور بالقارئ[١].
وبحسب الاستقراء يتضح أن طبقات التابعين تصنف على مدى قربهم من الصحابة وكذلك الأخذ عنهم، نبينها وفق الآتي:

١. الطبقة الكبرى- كبار التابعين-: وهم من أدركوا كبار الصحابة وأكثروا الأخذ عنهم ولازموهم، كسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبيروالحسن البصري. وآخرون
٢. الطبقة الوسطى: وهم من أدركوا عددًا أقل من الصحابة أو لم يكثروا الرواية، كعكرمة، ومجاهد بن جبر.
٣. الطبقة الصغرى: وهم من أدركوا الصحابة في أواخر أعمارهم، كقتادة والضحاك، وقد يعد بعضهم من أتباع التابعين في اصطلاح بعض المحدثين[٢].

ويمكننا أيضاً تحديد عصر التابعين من حيث الابتداء والانتهاء على وفق ما تقدم من طبقات التابعين على النحو الآتي:

أولًا: بداية عصر التابعين

- في ضوء تعريفنا للتابعي يظهر لنا جليا أن بداية عصرهم كان في زمن الصحابة (رضي الله عنهم)، ولكن
- كاستقلال علمي يبدأ بعد انقضاء عصر الصحابة، بعد (٤٠ هـ) تقريباً[٣]، حيث بدأت طبقة التابعين تتصدر الرواية والفتوى والتفسير.

ثانيًا: نهاية عصر التابعين.

اختلف أهل العلم في تحديد نهاية عصر التابعين على قولين مشهورين:

- القول الأول: أنه ينتهي بوفاة آخر التابعين. وهو قول جمهور أهل الطبقات، وقد قدّروا ذلك بنحو: سنة (١٢٠هـ) تقريبًا. حيث توفي كبار التابعين كسعيد بن جبير (٩٥هـ) والحسن البصري (١١٠هـ)، ومحمد بن سيرين (١١٠هـ)، وقتادة (١١٧هـ).
- القول الثاني: أنه ينتهي بظهور طبقة أتباع التابعين ظهورًا مستقلًا وهو ما يجعل نهاية عصر التابعين تمتد إلى: نحو سنة ١٨٧هـ وهو العصر الذي بدأ فيه التدوين واتسعت فيه حركة التصنيف.

(وعليه) فإن عصر التابعين فيما يبدوا، يبدأ منذ منتصف القرن الأول الهجري (بنحو ٤٠ هـ)، ويستمر إلى أوائل القرن الثاني الهجري، وينتهي بوفاة آخر التابعين أو بظهور طبقة أتباع التابعين ظهوراً علمياً مستقلًا، وذلك ما بين سنتي (١٢٠-١٧٨هـ) تقريبًا[٤].

ثانياً: جهدهم في نقل التفسير.

من المعلوم أن قول التابعي اعتمد غالباً على نقل نص عن الصحابي أو بالمعنى عنه أو ما يفهمه عنه أو من نفسه، وذلك لارتكاز الصحابة على النقل لما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وكذلك فهمهم الواسع واستنباطهم الدقيق للمعني اعتماداً على التفسير القرآني للقرآن، المبني على اجتهادهم الحسن، تفسيراً لِما لمْ يرد فيه شيء عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، حيث هم المؤهلون لذلك وفق اعتبارات عديدة للقول في التفسير وغيره، ما لم تتوافر لغيرهم لدى التابعين ومن بعدهم، ومن تلك الاعتبارات:

- اعتمادهم النقل من منبعها الصافي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مباشرة، فنقلوها لغيرهم.
- أنهم عاصروا التنزيل لفترة نزول الوحي فجعلهم على علم تام بأحوال الآية.
- شهدوا الأحداث وفهموا الواقع. وعاشوا الظروف التي كانت تمر بهم جعلتهم على دراية بفهمها خصوصاً والرسول (صلى الله عليه وسلم) بين ظهرانيهم (كفهم أو تطبيق).
- تمكنهم من اللغة حيث بلغوا ذروتها في الفصاحة والبلاغة ونحوهما. وغيرها من الأسباب.

فكان للتابعين فضل كبير في نقل تلك الاقوال التفسيرية عن الصحابة (رضي الله عنهم اجمعين)، بكل أمانة وحرص مميزين الصحيح من السقيم، مضيفين بعضاً من الاستنباطات اللغوية أو الشرعية معتمدين على أصول تلقوها من الصحابة الكرام، لهذا كانت منزلة أقوال التابعين في التفسير عند المفسرين عالية، فأن غالب المفسرين اعتمدوا على أقوالهم التفسيرية، بعد الأخذ بمرحلة تفسير القرآن بالقرآن وأقوال النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن ثم بالأقوال التفسيرية للصحابي (رضي الله عنهم) أو قولهم المرفوع عن النبي (صلى الله

---

(١)- دليل الحيران على مورد الظمآن- لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المالكي (ت:١٣٤٩هـ) دار الحديث- القاهرة. ٦/١.

(٢)- للوقوف على تفاصيل أكثر يراجع: الزيادة والاحسان في علوم القرآن ٣٩٢/٩. ودليل الحيران على مورد الظمآن ٦/١، ونقد الصحابة والتابعين للتفسير ٢١/١.

(٣)- ينظر: حياة التابعين- لياسر بن أحمد بن محمود الحَمَدَاني ٢٨/١.

(٤) - للوقوف على تفاصيل أوسع، يراجع: حياة التابعين ٢٨/١، (بتصرف) فقد فصل القول مع الاستدلال في بيان المدة، وأبدع.

عليه وسلم)، وإن لمْ يجد المفسرون ذلك ينتقلون إلى المرحلة الثالثة وهي الأخذ بقول التابعي، وهو ما علله الإمام ابن كثير في مقدمة تفسيره، فقال: (إذا لمْ تجد التفسير، في القرآن ولا في السنة، ولا عن الصحابة، فقد رجع كثيرٌ من الأئمة إلى أقوال التابعين)[١].

٢.٣.المطلب الثالث: حكم قول التابعي في التفسير وأبرز المدارس التفسيرية في عصرهم.

أولاً: حكم قول التابعي في التفسير عند العلماء.

- أن بيان حكم قول التابعي في التفسير- حتى مع ثبوت وصحة السند- لم يكن محل اتفاق في عَدها مَصدراً من مصادر التفسير بالمأثور، فمنهم من أخذ بها، ومنهم من تركها ولم يعدها من المصادر التفسيرية. إلا ما نقله التابعي عن الصحابة فيؤخذ به ولا خلاف على ذلك، أما ما اجتهد التابعي فيه فهذا محل خلاف بين أهل العلم، فقد ذكر الإمام الزركشي، قوله: وفي الرجوع إلى قول التابعين روايتان عن الإمام أحمد، أنه قال: "أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير"، ولكن المفسرين على خلافه، فقد حكوا في
- كتبهم أقوالهم، لأن غالبها تلقوها عن الصحابة، ولعل الرواية عن أحمد إنما هو فيما كان من أقوالهم وآرائهم [٢]. أما من ناحية اجماعهم أو اختلافهم، نوضحها بالآتي:

إجماعهم في التفسير: يُعد الاجماع في كل زمن حجة
- وهو المصدر الثالث بعد الكتاب والسنة، وعليه فإجماع التابعين على قول في التفسير حُجة يأخذ بها أهل العلم، ولا خلاف في ذلك، لأسباب منها:
- لأنَّ الغالب عنهم أنهم تلقوها عن الصحابة، كما نص على ذلك الإمام الزركشي. ويؤيده ما ذكره الإمام ابن كثير في مقدمة تفسيره عن مجاهد أحد التابعين المعروفين بكثرة أقواله في التفسير، أنه قال: "عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من الفاتحة إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها"[٣]، وكذلك قتادة قوله: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً. والكثير من التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما تبين لنا من قول مجاهد آنفاً، ولهذا قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به؛ وعليه فقد اعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم، وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره[٤].
- لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (إِن اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمتِي - أَوْ قَالَ: أُمة مُحَمدٍ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ - عَلَى ضَلَالَةٍ...)[٥]، قال شيخ الإسلام: "..وأما إذا أجمعوا –أي التابعين– على شيء فلا يرتاب في كونه حجة[٦]. وايضاح المعنى التفسيري المجمع عليه عند التابعين جزء منه.

اختلافهم في التفسير: الاختلاف ليس نقيصة على العالم، بل قد يكون الخروج من دائرة التقليد إلى دائرة الاجتهاد، أو من باب التنوع لا التضاد والتعارض، فيمكن الجمع بينهما، فليس كل اختلاف مردود، وذلك لأن:

- الاختلاف في التفسير -وفي غيره وارد-، كل حسب فهمه ودليله، في ضوء الأدلة والقرائن فهو من باب التنوع، خصوصاً وأن الهدف هو الكشف عن مراد الله تعالى، وفق ضوابط وشروط محددة[٧].
- اختلافهم لا يكون حُجة بعضهم على بعض، ولا على من بعدهم، إذْ لمْ يُنَص على عدالتهم، كالصحابة بأنهم عُدول، ويمكن للمفسر أنْ يرجع إلى الطرق والوسائل التي يُستفاد منها في التفسير الصحيح، إلى لغة القرآن، أو السُّنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة[٨]، قال شيخ الإسلام (.... إن اختلفوا – أي التابعين- فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، وحينئذ يُرجع في التفسير إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة

---

(١)- مقدمة تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/٤، والإتقان في علوم القرآن- لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)- المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٣٩٤ه. ٢١٥/٤.

(٢)- ينظر: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الفكر،بيروت،١٤٢١هـ ١٧٤/٢(بتصرف يسير) ومقدمة في أصول التفسير، لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم، تحليل وتعقيب وتأليف أحمد بن إبراهيم عبد الرحمن، دار البصائر، القاهرة،٢٠٠٦م. ص٩٨.

(٣)- ينظر: مقدمة التفسير ٤/١ والإتقان في علوم القرآن ٢١٥/٤.

(٤)- ينظر: مقدمة في أصول التفسير ١٠/١.

(٥)- رواه الترمذي من حديثه مرفوعا بلفظه عن ابن عمر ثُمَّ قَالَ: حسن غَرِيب. ينظر: تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج- لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي المصري (ت: ٨٠٤هـ) تحقيق: حمدي عبد المجيد، المكتب الإسلامي –بيروت ٥٢/١.

(٦)- ينظر: المقدمة في التفسير ٩٨.

(٧)- ينظر: الاتقان في علوم القرآن ٢٠٠/٤ وما بعدها.

(٨)- ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي ١٢٨-١٢٩

العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك) [١]. لهذا نجد قاعدة: فهم السلف للقرآن حجة يُحتكم إليه، لا عليه [٢].

حقيقة الاختلاف: تكمن حقيقة الاختلاف بينهم أنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وهو بالرأي دون النقل.

- فالتنوع: يستند على التمثيل والتقسيم، بمعنى يمكن الجمع بين تلك الأقوال واعتمادها واعتبارها محتملة ومقبولة.
- والتضاد: يستند على التعارض والتناقض وهو غير موجود إلا الشيء النُزر الذي لا يكاد يُعد، كذكر معنيين فيكونان متعارضين متضادين لا يمكن الجمع بينهما، فإن أخذنا أحدهما يترك الثاني لزوما[٣].
- **(وعليه)** وبحسب الاطلاع يتبين أنَّ جل الاختلاف إنْ لم يكن كله، إنما هو في التفسير بالراي. أما التفسير بالمنقول فلا نكاد نجد فيه خلافاً، وقد نجد تعدداً في كثير من الروايات، وبمجرد إمعان النظر نجدها متحدة من حيث المعنى[٤].

ثانياً: المدارس التفسيرية عصر التابعين

- من المعلوم أنَّ كثير من الصحابة الكرام بعد أنْ اتسعت رقعة الإسلام لمْ يستقروا في المدينة، بل توزعوا وتفرقوا بين الأمصار واستقروا بها ، فكان منهم الوالي والمرابط والقاضي والمعلم، ومنهم غير هذا. فحمل غالبهم ما وعوه وفهموه وحفظوه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، عندها انظم إليهم جمع كثير من التابعين يأخذون وينقلون عنهم العلم، فتكونت آنذاك مدارس علمية مختلفة اساتذتها صحابة الرسول وتلاميذها التابعون.

عندها اشتهرت في عصر التابعين مدارس تفسيرية عدة، تختلف في الأسانيد والمصادر وطرق الاستدلال، فقامت مدرسة للتفسير بمكة، وأخرى بالمدينة، وكذلك الشام والعراق سواءً بالكوفة أو البصرة، إلا أن ما أشتهر منها ثلاثة في الأمصار في هذا العهد[٥]. وهي على النحو الآتي:

- **مدرسة مكة:** قامت على يد الصحابي الجليل (عبد الله بن عباس)، أبرز تلاميذها: طاووس بن كيسان ومجاهد بن جبر، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح.وآخرون وتميزت هذه المدرسة بالاعتماد على الرواية المباشرة عن ابن عباس، ووفرة التفسير بالمأثور.
- **مدرسة المدينة:** قامت على يد الصحابي الجليل (أبي بن كعب)، وأبرز تلاميذها: زيد بن أسلم، وسعيد بن المسيب، وابو العالية ومحمد القرظي ونافع مولى ابن عمر، وآخرون وتميل هذه المدرسة إلى قلة الرواية، وزيادة الاعتماد على المعاني الشرعية والفقهية.
- **مدرسة الكوفة:** قامت على يد الصحابي الجليل (عبد الله بن مسعود[٦]) وأبرز تلاميذها: الحسن البصري، والشعبي، وقتادة، والضحاك، ومسروق.وآخرون. وقد امتازت بالتوسع في المعاني والاجتهاد، مع حضور قوي للغة والنحو للاستدلال، وهم ما امتاز بهم أهل العراق بالرأي[٧].

٣.المبحث الثاني: مصادر التفسير عند التابعين

أنَّ الوقوف على معرفة مصادر التفسير عند التابعين يُعد مرتكزاً اساسياً لفهم أصولهم التأصيلية في تفسيرهم، وهو ما يعتمد عليه المفسر لتحديد المنهج والتوجه وطرق فهم الآيات، ومن الملاحظ أن مدارس التابعين تميزت بتعدد المصادر، إلا أنها حافظت على موروثها من الصحابة الكرام، وظل التفسير محتفظاً في هذا العصر بطابع التلقي والرواية، ولكن التابعين - بعد أن كثر دخول أهل الكتاب في الإسلام، نقلوا عنهم في التفسير كثيراً من الإسرائيليات، كالذي يُروى عن عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، كما بدأ الاختلاف فيما يُروى عنهم من تفسير لكثرة أقوالهم. ومع هذا فإنها أقوال متقاربة أو مترادفة، فهو من باب اختلاف العبارة لا اختلاف التباين والتضاد-

---

(١)- ينظر: المقدمة في التفسير ٩٨.

(٢)- ينظر: مختصر في قواعد التفسير ٧/١.

(٣)- للوقوف على تفاصيل أوسع، يراجع: جواب السائلين عن أبرز مباحث علوم القرآن ومناهج المفسرين ص٢٤٢.

(٤)- ينظر: التفسير اساسياته واتجاهاته ص٢٦٩.

(٥)- ينظر: التفسير والمفسرون ٧٧/١، ودراسات في علوم القرآن ٣٥/١، والتفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث ٧٢/١.

(٦)-هناك غيره من الصحابة أخذ عنهم أهل العراق التفسير، غير أن عبد الله ابن مسعود كان يعتبر الأستاذ الأول لهذه المدرسة، نظراً لشهرته في التفسير وكثرة المروى عنه في ذلك، ولأن عمر (رضى الله عنه) لما ولّى عمار بن ياسر على الكوفة، سيَّر معه عبد الله بن مسعود مُعلِّماً ووزيراً، فجعل الكوفيين يجلسون إليه، ويأخذون عنه أكثر مما يأخذون عن غيره من الصحابة. ينظر: التفسير والمفسرون ٨٨/١.

(٧)- للوقوف على تفاصيل أوسع يراجع: التفسير والمفسرون ٨٢/١، ونفحات من علوم القرآن ١٣٠/١، والأصلان في علوم القرآن ١٢٥/١.

كما تقدم-[١]. وهنا نتطرق إلى أبرز تلك المصادر المعتمدة وأثرها في التفسير لدى التابعين.

٣.١.المطلب الأول: القرآن الكريم- تفسير القرآن بالقرآن.

يُعد تفسير القرآن بالقرآن الأصل الأول من مصادر التفسير وأعلاها وأصحها؛ إذ لا يُفسر كلام الله بأصدق من كلام الله. وقد تبع بذلك التابعون نهج الصحابة الكرام في الربط بين الآيات، وجمع المتشابه، وتوضيح المجمل بالمبين. **لهذا تعد أولى المراحل** بل إحدى أهم المصادر الرئيسية وأصح الطرق في ذلك، كون صاحب الصنعة أعلم وأعرف بصنعته من غيره – ولله المثل الأعلى- فما أُجمل في مكان فإنه يفسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فقد يبسط في مكان آخر[٢]. مثلاً، وقبل الشروع بتفاصيله يمكننا تقسيمه على شطرين:

الأول: فيما يتعلق بالقصص والأحداث: فإنه سبحانه وتعالى قد يوجَز في موضع إلا أنه يُسهب به ويفصل في موضع آخر، مثلا قصة آدم (عليه السلام) مع ابليس (أعاذنا الله منه)، جاءت مختصرة في مواضع، ومُسْهَبة مطوَّلة في مواضع أخرى، أو قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون، جاءت مُوجَزة في مواضع، ومُسْهَبَة مُفصَّلة في مواضع أخرى. وهكذا.

الثاني: ما يتعلق بالآيات والمفردات: فإنه سبحانه وتعالى قد يُجمل في موضع ويفسره في موضع آخر، مثلاً عند قوله تعالى﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة الآية: ٣٧، حيث وردت ﴿كَلِمَٰتٍ﴾، مبهمة ففسرت في موضع آخر، عند قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ الأعراف الآية: ٢٣، حيث تبين مفهوم تلك الكلمات في موضع آخر[٣]، وهكذا عموماً.[٤] إما ما يخص أسس تلك الأصول في تفسير التابعين ومدى اهتمامهم بها، نبين بعضاً من تفاسيرهم، كمثال عن ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا ﴾ البقرة من الآية: ٢٣٤، عن مجاهد: قال: كانت هذه العدة، تُعْتَد عند أهل زوجها واجبًا، فأنزل الله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} إلى قوله: {مِن مَّعْرُوفٍ} قال: جعل الله لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية: إن شاءَت سكنت في وصيتها وإن شاءَت خرجت. وهو قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ البقرة الآية: ٢٤٠. [٥].
- * عند قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣، قال الحسن: يراه أهل الجنة في الجنة. واحتج بقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣، قال: ينظرون إلى وجه الله عز وجل.[٦]

(أقول): تلك الشواهد وغيرها الكثير، تدل على أن التابعين لم يكتفوا بالنقل، بل كانوا يمارسون ربط النصوص القرآنية ويفهمون سياق ومقصد الآيات، وهو ما انعكس على تفسيرهم. فكان دافعاً لمن جاء بعدهم وتأصيلاً لهم في فهم مقصد الآيات.

٣.٢.المطلب الثاني: السنة النبوية- تفسير القرآن بالسنة النبوية.

تُعد السنة النبوية الأصل الثاني في فَهم القرآن الكريم، وهي أصح طرق التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن، لهذا اعتنى به الرعيل الأول أيمَّا اعتناء، ومنهم التابعون ومن جاء بعدهم إلى يومنا، ففي ذلك يقول الإمام الشافعي (رحمه الله): كل ما حَكمَ به رسول الله (صلى الله عليه

(١)- ينظر: مباحث في علوم القران- لمناع القطان ٣٥١/١.

(٢)- ينظر: مقدمة في أصول التفسير ص٩٣

(٣)- للاستفاضة أكثر يراجع التفسير والمفسرون ٣٢/١.

(٤)- هناك تقسيمات أخرى اندرجت تحت هذا المسمى، لا يتسع المقام لذكرها، للاستفاضة أكثر يراجع: فصول في أصول التفسير ٣٦/١.

(٥)- التفسير الوسيط ٢٦٠/١. وآية (أربعة أشهر وعشراً) ناسخة للآية التي بعدها، ويبيِّن أنها ناسخةٌ لها الإجماعُ وهو قول أكثر أهل العلم. ينظر: الناسخ والمنسوخ، للنحاس ص: ٦٩، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ص: ١٨٢، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص: ٢١٤. تيسير البيان لأحكام القران ٨٥/٢.

(٦)- ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد٣٠٧/٢.

وسلم)، فهو مما فهمه من القرآن. إذْ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة النحل من الآية ٤٤، ولهذا يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه)[١]، والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجدْ فمن السنة[٢].

ومما لا شَكَ فيه وجِبَ الاعتماد في ذلك على الأحاديث الصحاح والحِسان، وتجنب الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ لأنه قد اختُلِق على النبي (صلى الله عليه وسلم) في تفسير القرآن كما اختلق عليه في غيره. فما ثبت بسند صحيح تعين القول به، والتفسير بمقتضاه، ولا يجوز العدول عنه إلى غيره، وما لم يثبت نقله -من أجل سبب من الأسباب-فلا يؤخذ به في تفسير القرآن الكريم، إذ لا يجوز تفسير كلام الله برواية ضعيفة[٣].

لهذا كان التابعون يعتمدون غالباً على ما بلغهم من تفسير الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) للقرآن الكريم، وجعلوها من الأسس والأصول التي لا ينبغي تجاوزها، خصوصاً في آيات الأحكام أو الحدود أو القصص أو الغيبيات، ونحو ذلك.

إما ما يخص أسس تلك الأصول في تفسير التابعين ومدى اهتمامهم بها، وأبرز التابعين الذين عنوا بهذا كالحسن البصري، وقتادة، وعطاء بن ابي رباح وغيرهم. فهي مبثوثة في كتب التفاسير التي تعنى بالتفسير المأثور، نبين بعضاً من أقوالهم، كمثال عن ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ البقرة من الآية: ٢٦٠، عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى؟ وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم[٤].

- عند قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ البقرة من الآية ٢٧٣، عن معنى (الإلحاف) أن عطاء بن يسار، وعبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، قالا: سمعنا أبا هريرة (رضي الله عنه)، يقول: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف، واقرؤا إن شئتم» يعني قوله: {لا يسألون الناس إلحافا}[٥].[٦]

وبحسب الاستقراء، نجد أن التابعين استندوا إلى الطُرق المُثلى لتفسير القرآن الكريم، ومنها تفسير القرآن بالسنة النبوية لما تلقوه من الاحاديث التفسيرية، ورووا السنن القولية والفعلية التي فسرها الرسول (صلى الله عليه وسلم) لبعض آيات القران عن الصحابة، فثبتوها في شروحهم وجعلوها أصلاً محورياً في منهجهم، حيث كان لهذا الأصل منهجية مؤصلة فلم يعتمدوه اعتماداً عارضاً أو استثنائياً، بل بنوا عليه احكاماً تفسيرية مستقرة كانت لبناتها واضحة لمن جاء بعدهم من أئمة التفسير، كالإمام الطبري وابن كثير وغيرهما. ومنها مثلاً:

- * عند قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ الأنفال من الآية: ٦٠ في مفهوم القوة التي بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم) في الحديث الذي روي عن أبي علي ثمامة بن شفي، أنه سمع عقبة بن عامر، يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو على المنبر، يقول: " {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة} [الأنفال: ٦٠]، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"[٧] نقل المفسرون أقوالاً عدة في بيان معنى (القوة) وغالبها عن التابعين بوجوه مختلفة، فقد لقي

(١)- اخرجه أحمد في مسنده، حديث المقدام بن معد بن يَكرُب الكنَدي: ١٣٠/٤، وقال: إسناده صحيح.

(٢)- ينظر: مقدمة في أصول التفسير ٢/ ٨٤-٨٥.

(٣)- ينظر: تعريف الدارسين ٢١٠-٢١٣ (بتصرف يسير).

(٤)- قوله: (أحق) أولى بالسؤال عن كيفية الإحياء أو الشك فيه لو كان سؤاله شكاً، ولكنه طلب المزيد من اليقين والاطمئنان. (ليطمئن) ليسكن ويصير علم اليقين عندي عين اليقين بالمشاهدة. الحديث اخرجه البخاري في صحيحه٤/٤١٧ برقم: ٣٣٧٢.

(٥)- قوله (إلحافا) أي: إلحاحا وهو ملازمة المسؤول حتى يعطيه. والحديث اخرجه البخاري في صحيحه ٦/٣٢ برقم: ٤٥٣٩.

(٦)- ينظر: التفسير الوسيط للواحدي ١/٣٩٠.

(٧)- اخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٥٢٢ برقم: ١٩١٧.

رجل مجاهداً بمكة، ومع مجاهد جُوَالق[١]، قال: فقال مجاهد: هذا من القوة -ومجاهد يتجهز للغزو-. وعنه ايضاً: ذكور الخيل. وقال عكرمة: انها الحصون. وقال السدي: السلاح. وعن سعيد بن المسيب قال: القوة الفرس إلى السهم فما دونه[٢]. لهذا فهم المفسرون من بعدهم أن لتنوع تلك الأقوال هو أساس معرفي سواءً كان اساساً فقهياً أو أساسا لغوياً، فثبتت قوته المنهجية وحسن استدلالهم، ومنهم الإمام الطبري حيث قال: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين، من السلاح والرمي وغير ذلك، ورباط الخيل ولا وجه لأن يقال: عني بـ "القوة"، معنى دون معنى من معاني "القوة"، وقد عمَّ الله الأمر بها. فإن قال قائل: فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد بيَّن أن ذلك مرادٌ به الخصوص بقوله: "ألا إن القوة الرمي"؟ قيل له: إن الخبر، وإن كان قد جاء بذلك، فليس في الخبر ما يدلّ على أنه مرادٌ بها الرمي خاصة، دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة، لأنه إنما قيل في الخبر: "ألا إن القوة الرمي"، ولم يقل: "دون غيرها"، ومن "القوة" أيضًا السيف والرمح والحربة، وكل ما كان معونة على قتال المشركين، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم. هذا مع وهاء سند الخبر بذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[٣].

- لهذا صار تفسير القرآن بالسنّة من أركان التفسير بالمأثور، الذي يشكّل في جوهره مدرسة التابعين في التفسير.

٣.٣.المطلب الثالث: أقوال الصحابة-تفسير القرآن بأقوال الصحابة-.

- مما تقدم بيانه، أنَّ كبار التابعين قد تتلمذوا على يد الصحابة الكرام (رضي الله عنهم أجمعين)، لهذا يعد هذا المصدر هو الأصل الثالث المعتمد لديهم ومن أهم المصادر، إذ هم الجيل الذي تلقى عن الصحابة مباشرة، وهو الأساس الذي قامت عليه مدرسة التفسير بالمأثور وأساساً وأصلاً لمن بعدهم. فقد اهتم التابعين بهذا الاصل ايما اهتمام، ومن أشهر من عُني بهذا المصدر: سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد بن جبر الذي قال فيه سفيان الثوري: "إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به."[٤]. ومن أمثلة ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ البقرة من الآية: ١٥٨، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس لِمَ بُدِىء بالصفا قبل المروة قال: لأن الله قال: إن الصفا والمروة من شعائر الله[٥].

* عند قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ البقرة من الآية: ٢٦٦، عن عطاء، قال: قال عمر بن الخطاب: ما وجدت أحدا يشفيني من هذه الآية: {أيود أحدكم أن تكون له جنة}، إلى آخر الآية، وابن عباس خلفه، فقال له ابن عباس: أني لأجد في نفسي منها شيئا، فالتفت إليه عمر، فقال، لم تحقر نفسك؟ تحول ههنا، فقام فأجلسه، فقال: هذا مثل ضربه الله، فقال: أيود أحدكم أن يكون عمره كله لله يعمل بعمل أهل الخير، وعمل أهل السعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختم عمله بخير، حين فني عمره، واقترب أجله، عمل بعمل أهل الشقاوة، وعمل أهل النار، فختم به عمله، فأفسد ذلك عمله كله، كما لو كان لأحدكم جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار، فأتتها نار فأحرقتها، فهذا مثل ضربه الله لهذا.[٦]

* عند قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ العاديات الآية:٣، عن مجاهد عن ابن مسعود قال: " يعني الخيل، قال: وذاك في الحج[٧].

* عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الأنفال من الآية:٢٢، عن مجاهد، عن ابن عباس: {إن شر الدواب}، قال: «هم نفر من بني عبد الدار».[٨]

(أقول): حُظي هذا الأصل بالتوسع والنقل بما لمْ يحظ به أصل غيره، لِمَا للصحبة من اثر بالغ في فهم النصوص

---

(١)- (بضم الجيم، وفتح اللام أو كسرها) ، أي وعاء من الأوعية، ينظر: لسان العرب ٣٦/١٠ (فصل الثاء).

(٢)- للوقوف على تفاصيل اوسع يراجع: تفسير ابن أبي حاتم ١٧٢٢/٥، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٨٤/٤

(٣) - جامع البيان في تأويل القران ٣٧/١٤.

(٤) - ينظر: جامع البيان في تأويل القران ٩١/١.

(٥) - ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣٨٧/١.

(٦) - ينظر: التفسير الوسيط للواحدي ٣٨٠/١.

(٧) - ينظر: تفسير مجاهد ٧٤٣/١.

(٨) - المصدر نفسه٣٥٣/١.

القرآنية ومدلولاتها عند التابعين ومن بعدهم، فالصحابة أعلم الناس لمعاني القران واوثقهم تأويلاً، واقربهم إلى مراد الله، لهذا كان معياراً مهما، فلم يكن خياراً معرفياً بل ضرورة علمية وشرعية، لضمان صحة الفهم وتوثيق المعنى، بالرغم من أن بعضهم قد اجتهد في مواضع متعددة إلا أنهم عدوا قول الصحابي في التفسير أصلاً تفسيرياً ملزماً ولا يجوز تجاوزه بغير دليل، مثلاً:

- عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ التكاثر الآية: ٨، فقد روي عن الشعبيّ، عن ابن مسعود، في قوله: (ثُـمَّ لَتُسْـأَلُنَّ يَوْمَئِـذٍ عَـنِ النَّعِـيمِ) قال: الأمن والصحة[١].

(أقول): من الملاحظ ان الامام الشعبي وهو تلميذ المدرسة العراقية- كما تقدم- لم يجتهد بتأويل جديد بالرغم من وجود تأويلات عدة لتابعين آخرين، إلا أنه نقله عن ابن مسعود بدقة وجعله أصلاً تفسيرياً يُعتمد عليه، دون اضافة أو تعليق منه، مما يدل على اعتماده الكامل على قول الصحابي في بيان المعنى، وركنا علمياً لا يتجاوزه بل يتوسع أو ينوه إنْ شاء، فهو أصلٌ سار عليه من بعدهم.

٣.٤.المطلب الرابع: اللغة والسياق-التفسير باللغة والسياق القرآني.

- المعرفة باللغة العربية وفنونها، يقوم على أُسس من الاشتقاق والتصريف والمعنى، لفهم النص القرآني، وهي بالأساس لغة القرآن الكريم، إذ يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف الآية٢، فالتابعون أولوا عنايةً كبيرةً بها في التفسير، وجعلوا هذا الأصل في التفسير امتداداً للأصول الثلاثة، حيث فسروا الغريب، وميزوا بين المجاز والحقيقة، واستعملوا قواعد النحو والبلاغة في فهم معاني الآيات. ومنهم من اعتمد في التفسير على الشعر، ومنهم من جمع أقوال العرب في المعاني، فجعلوها كقواعد اساسية، منها ما رواه الإمام الطبري بسنده في تفسيره، فقال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس وعمرو بن الحارث، عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أنه سمع عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يقول: قال الله: ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ عبس الآيات:٢٧-٣١، كلّ هذا قد علمناه، فما الأبُّ؟ ثم ضرب بيده، ثم قال: لعمرك إن هذا لهو التكلف، واتبعوا ما يتبين لكم في هذا الكتاب، قال عمر: وما يتبين فعليكم به، وما لا فدعوه[٢]. من هذا وغيره، أخذ بعض التابعين من ذلك قاعدة في عدم الخوض فيما لا تتوقف عليه الأحكام، بل يكتفون بما يظهر من السياق، وفي سياق لاتفاق معاني الألفاظ. كان مجاهد يقول في قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ الأنفال من الآية: ٤١، يومٌ فَرَقَ الله فيه بين الحقّ والباطل.[٣] وهنا بانت أقوالهم فهي لا تتوقف على النقل فحسب، بل كان لهم قول بحسب فهمهم للنصوص القرآنية يدلون به مع احترامهم الشديد لأقوال الصحابة الكرام، فكان من باب التنوع لا التعارض أو التضاد[٤].

٣.٥.المطلب الخامس: الاجتهاد والاستنباط بالرأي.

باب الاجتهاد فيما لا نَّصَ فيه في تفسير القران الكريم كان مفتوحاً أمامهم بتقييد، إلا أنه مبني على أصول الشرع لا يحيدون عنه ولا يتعدوه، لهذا كان استعمال أدواته متاحة لهم دون هوى أو شذوذ، فنرى كثيرٌ من التابعين، مَنْ له القول المعتبر سواء في آيات الأحكام أو في غيرها. مما حذا بأهل التفسير الأخذ والاعتماد إلى ما ذهبوا إليه وقالوا فيه. نظراً لاتساع افق فهمهم مع عنايتهم بسياق الآيات ومقاصدها، كالحسن البصري أو قتادة مثلاً، وغيرهم.

- * عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ المؤمنون: ٧٦، فعن الحسن البصري (رحمه الله) أنه قال: «إذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء، فإنما هي نعمة، فلا تستقبلوا نعمة الله بالحميّة، ولكن استقبلوها بالاستغفار، واستكينوا وتضرعوا إلى الله» وقرأ هذه الآية: وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ وَما يَتَضَرَّعُونَ.[٥]
- * عند قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ المائدة من الآية: ٣، فقد ذهب عطاءٌ والحسن ومكحول والشعبي وسعيد بن المسيب، إلى تخصيص التحريم بما ذكر عليه اسم الصنم. ولهذا أباحوا ذبيحة النصراني، إذا ذُكر عليها اسم المسيح، بهذا القول خالفوا بذلك ظاهر النص، وما

(١) -ينظر: جامع البيان في تأويل القران ٥٨٢/٢٤.

(٢) -ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٢٣١/٢٤.

(٣) -ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٩٨/١.

(٤)- سيأتي بيان تلك الاقوال بالتفصيل لاحقا.

(٥)- ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي ١٠٧٨/٢.

عليه الجمهور من التحريم، وقد شمل حكم الآية: ذبيحة الوثني، والمجوسي، وكذا ذبيحة المعطل الذي لا يعتقد في الله تعالى، فهي حرام كذبيحة من ذكر اسم غير الله عليها.[١]

- عند قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة الآية: ١٨٠، فعن مسلم، عن مسروق: أنه حضر رجلا فوصَّى بأشياء لا تنبغي، فقال له مسروق: إنّ الله قد قسم بينكم فأحسن القَسْم، وإنه من يرغب برأيه عن رَأي الله يُضِلّه، أوص لذي قرابتك ممن لا يرثك، ثم دع المال على ما قسمه الله عليه.[٢]
- عند قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الفاتحة الآية: ٢، عن مجاهد قال: لما نزلت {الحمد لله رب العالمين} شق على إبليس مشقة شديدة ورن رنة شديدة ونخر نخرة شديدة. قال مجاهد: فمن أن أو نخر فهو ملعون.[٣]
- عند قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ التوبة الآية: ١٠١، فعن قتادة في قوله ﴿ تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ قال:" فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة فلان في النار فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدري، أنت لعمري بنفسك أعلم منك بأعمال الناس، ولقد تكلفت شيئا ما تكلفه الرسل، قال نبي الله نوح (صلى الله عليه وسلم) ﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الشعراء: ١١٢، وقال نبي الله شعيب (صلى الله عليه وسلم) ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ هود: ٨٦ ، وقال الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم): ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾"[٤].التوبة: ١٠١.
- عند قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ البقرة من الآية ٢٠، ذُكر علي بن أبي طلحة، قوله: يَكاد مُحكم القرآن يدُل عورات المنافقين كلما أصاب المنافقين عزاء من الإسلام اطمأنوا، وإذا اصابتهم نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر.[٥]

(أقول): هذا النوع من التفسير يُعد من بوادر التوسع الاجتهادي في التفسير، مع الالتزام بحدود المأثور والمعقول. وهو نابع من فهمهم وما تلقوه في مدارسهم التفسيرية التي أخذوها عن الصحابة (رضي الله عنهم).

٤.المبحث الثالث: القواعد والأصول التفسيرية عند التابعين

تمثل القواعد والأصول التفسيرية عند التابعين صلب بحثنا، ففيه نُحلل المنهج التأصيلي الذي سار عليه اغلب التابعين في التفسير، مستخلصين منه أهم القواعد الأصولية التي ظهرت اثناء ممارستهم، وما نراه إلا ارساءً لدعائم مدرسة التفسير بالمأثور فكونت اللبنات الأولى لتدوين علم أصول التفسير. نبين أبرزها وفق المطالب الآتية:

٤.١.المطلب الأول: فهم السياق القرآني

كان التابعون يولون السياق القرآني أهمية بالغة في الفهم والتفسير، فكان أداةً لتفسير المجمل، وبيان المتشابه، وربط الآيات الموضوعية ببعضها. لهذا أخذ بعض التابعين من ذلك قاعدة في عدم الخوض فيما لا تتوقف عليه الأحكام، بل يجتهدون ويكتفون بما يظهر من السياق، وفي سياق لاتفاق معاني الألفاظ وما تعطي من مدلولات حسب فهمهم له.

مثلاً في ماهية (اليوم) عند قولهِ تعالى: ﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ الأنفال من الآية: ٤١، فقد روي عن مقسم قَالَ: «يَوْمَ يُفَرِّقُ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ»[٦]- المستقبل- وكان مجاهد يقول فيه: يومٌ فَرَقَ الله فيه بين الحقّ والباطل.[٧] – الماضي-وروي أيضاً عن عبيد الله بن عبد الله والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك[٨]. جاء ذلك في ضوء

(١)- ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم- مجمع البحوث ٢٦٣/١.
(٢)- ينظر: تفسير الطبري ٣٨٦/٣.
(٣)- ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١٧/١.
(٤)- المحرر الوجيز ٦٧/٣.
(٥)- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٤٩/١.
(٦)- ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني ١٢٣/٢ برقم: ١٠١٦.
(٧)- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٩٨/١.
(٨)- ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ١٧٠٦/٥ برقم: ٩١٠١.

استقراء السياق الزمني التي سلكتها الآيات القرآنية السابقة، مما اعطى مدلولاً في بيان هذا اليوم. بينما من أخذ بفهمه على السياق المقامي التي سلكتها الآيات القرآنية السابقة، أخذا مدلولاً آخر، لا يتعارض مع من أخذ بمفهوم السياق الزمني، وهو ما ذهب إليه بعض التابعين في بيان هذا اليوم كيوم بدرٍ تحديداً[١]، أو يوم ولادة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو ما ذهب إليه عطاء بن دينار، أو ريان عن يزيد بن أبي حبيب قال: في يوم الاثنين ولد النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو يوم الفرقان.[٢]

هذا من الجانب العام لفهم السياق ودوره في تحديد القول، وهنا نذكر فهم السياق على ظاهره وكيف أصلَّ التابعون (رحمهم الله) على ضوء ما فهموه واستلهموه من السياق، وفق الأمثلة الآتية:

- **عند قوله تعالى:** ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ سورة الصافات الآية: ٢٤.

السياق الظاهري للآية: قال جمهور المفسرين: يحاسبون عن أعمالهم، وأقوالهم، وأفعالهم[٣]. هذا على ظاهر الآيات.

التأصيل التفسيري عند التابعين: كان للسياق القرآني أثرٌ في تأصيل دقيق عند التابعين، منهم التابعي الجليل الضحاك بن مزاحم، فقد قال: (عن خطاياهم)[٤]، دون الأعمال عموماً، مستندًا إلى السياق التهديدي للسورة، فقد أبرز أنَّ الحساب هنا مناط بالذنب، لا الطاعة والجزاء، وهو ما يبرز لنا توجه مقاصدي وسياق مبكر في التفسير عند التابعين عموماً.

- عند قوله تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ الفتح الآية: ٢٠.

السياق الظاهري للآية: ذهب غالب أهل العلم إلى أن المراد بقوله: {وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة {فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ} ويعني خيبر {وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ} أهل مكة {عَنْكُمْ} بالصلح[٥].

التأصيل التفسيري عند التابعين: أيضاً كان للسياق القرآني أثرٌ في تأصيل دقيق لدى التابعين، منهم التابعي الجليل قتادة بن دعامة، قوله: يعني وكفّ أيدي اليهود من خيبر، وحلفاءهم من أسد، وغطفان، عن بيضتكم، وعيالكم، وأموالكم بالمدينة[٦].

(أقول): من الملاحظ في تأصيله (رحمه الله) تفسير مقصدي دقيق، عندما ربط الكف بالحماية الداخلية لأهل المدينة من خطر القبائل اليهودية أو العربية، في خطوة تظهر فيها إدراكاً للمقصد الوقائي في النصر، بتجاوزه ظاهر النصر القتالي، إلى أبعد منه بفهم واع بالسياق القرآني أقرب ما يكون إلى الاهتمام بالسياق السياسي أو الاجتماعي للآية.

(وعليه): فإن القاعدة الاساسية عموماً في فهم النص هو السياق، فتفسير الآية في ضوء السياق الكامل للآيات وليس بمعزل عنها، -مع اعتبار المناسبة الموضوعية والتسلسلية للنص- هي مرتكز أصيل اصبحت فيما بعد من ركائز وقواعد التفسير، لهذا عندما أصل العلماء قاعدة: السياق يُرشد إلى بيان المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة[٧]. اخذوا بنظر الاعتبار السياق. هكذا استقر لديهم أن فهم الآية لا يتم إلا عبر سياقها، وأنَّ أي فصل لها قد يؤدي إلى خطأ في الفهم. أو تحميل النص ما لا يحتمله.

٢.٤.المطلب الثاني: مراعاتهم لأسباب النزول

يُعد علم اسباب النزول من أهم مباحث علوم القرآن، الذي لم يكن مشهوراً -كمصطلح منهجي - إلا أن الاهتمام بتفاصيله الدقيقة كان جوهر التفسير، لهذا أخذ حيزاً كبيراً في التأليف أو التصنيف لما كانوا يعتمدون عليه في فهم

(١)- ينظر: صفوة التفاسير ٤٧٠/١.

(٢)-. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ١٧٠٦/٥ برقم: ٩١٠٢.

(٣)- ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٨٥/٧، وفتح الرحمن في تفسير القرآن ٥١٢/٥، والمحرر الوجيز ٤٦٩/٤.

(٤) -ينظر: تفسير القرطبي ٧٤/١٥، وزاد المسير في علم التفسير ٥٣٩/٣.

(٥) -ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٩٠/٢٦، وتفسير أبي حيان ٨/ ٩٦، وزاد المسير٧/ ٤٣٥، ومعالم التنزيل٣٠٦/٧، وتفسير النسفي ٣/ ٣٣٩، والتفسير الوجيز١٠١١/٢.

(٦) -ينظر: الكشف والبيان ٢٥٦/٢٤.

(٧) -ينظر: مختصر قواعد التفسير لخالد السبت ٢٣/١.

النص القرآني ومعتمداً رئيسياً ويؤلون له اهتماماً خاصاً بما نقلوه عن الصحابة الكرام، نبينه وفق الآتي:

(الوقوف على سبب النزول) في معرفة المراد من النص.

ان مراعاة أسباب النزول في التفسير تعد من القواعد الكبرى عند التابعين في بيان معنى الآية وتحديد مدلولها الحقيقي.

لما كانوا يتلقونه عن الصحابة في أسباب النزول ، ثم يعرضونها على الآيات لفهمها بشكل صحيح ومتكامل. خصوصا تلك النصوص التي لا يفهم المراد منها إلا بالوقوف على سبب نزولها، وهي كثيرة منها:

- عند قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ آل عمران: ١٦٧، قال عكرمة: "قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم"، قال: نزلتْ في عبد الله بن أبيّ ابن سلول[١]. هذا القول لعكرمة بيَّن السبب التاريخي الذي وضح المقصد الحقيقي من الآية، لهذا عُدتْ مرتكزاً أصيلاً عند التابعين واصبحتْ فيما بعد من ركائز وقواعد التفسير، فكانت قاعدة: القول في الأسباب موقوف على النقل والسماع [٢]. على ضوء ذلك أقر التابعون، وكمنهج عام مستقر، أن الآية إذا نزلت بسبب خاص فإن العبرة بعموم لفظها لا بخصوص سببها، ما لم يدل السياق أو دليل آخر على تقييدها. وقد أخذوا هذا عن الصحابة، لكنه عندهم أصبح قاعدة تفسيرية وتأصيلية لما بعدهم، منها:
- عند قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة من الآية: ٤٤، فعن الحسن قال: نزلت في اليهود، وهي علينا واجبةٌ[٣].

إذن عُدت مرتكزاً أصيلاً عند التابعين واصبحت فيما بعد من ركائز وقواعد التفسير، لهذا عندما أصل العلماء قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٤].

وغيرها من القواعد فهي تهتم وتراعي السبب لفهم النص القرآني.

٣.٤.المطلب الثالث: التفريق بين المحكم والمتشابه

من الأصول التفسيرية الثابتة والرئيسية عند التابعين، هو التمييز الفاحص والدقيق بين المحكم والمتشابه، وتجنب تأويل ما لا علم لهم به، خاصة في الغيبيات والمتشابهات، وقد وقف كثير منهم على المتشابه دون الخوض في تأويله، تورعاً واتباعاً. فكان التفريق واضحاً بين الآيات المحكمات ذات المعنى الواضح والآيات المتشابهات ذات المعنى متعدد الدلالات أو الغيبيات، تجنباً للخوض فيما يقع في التفسير ما ليس منه، سواء في تأويل مذموم أو قول شاذ، الغاية منها صون فهم مراد الله، وصياغة منهج منتظم في فهم النصوص. وما يظهر من موقف التابعين في الترجيح الممنهج بين المحكم والمتشابه يدلّ على أنهم اتخذوا هذه القاعدة أساسًا منهجياً محكماً، في منهج التأويل الصحيح. مثلا:

* عند قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ البقرة من الآية: ١٢١، فعن الحسن قال: «يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه»[٥]

بمعنى انهم يتعاملون بما هو واضح، مستحضرين ايمانهم بما هو مبهم أو متعدد الدلالات في التفسير، فهم فصَّلوا وفرَّقوا بين ما نزل من الآيات ليُعمل به، وبين ما نزل ليوقن ويؤمن به، حيث تحرَّوا في المحكمات بإخبار القطع والجزم، وفي المتشابهات بالإيمان به أولاً ثم السؤال والاستفسار أو المدارسة ثانياً عند الاشكال، لهذا نرى إقرار أهل العلم لقاعدة: القرآن الكريم كله محكم باعتبار، وكله متشابه باعتبار، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث[٦]. وبه استقر منهجهم ثم انتقل إلى من بعدهم، وصار من أصول التفسير الثابتة، يضبط فهم النصوص بلا غلو ولا تفريط. لهذا روي عن ابن عُيينة قوله: سئل ربيعة عن قوله {استوى على العرش} كيف استوى قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا

(١) - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٣٨٠/٧
(٢) - ينظر: مختصر قواعد التفسير ٥/١.
(٣) - جامع البيان في تأويل القرآن ٣٥٧/١٠.
(٤) - ينظر: مختصر قواعد التفسير ٢٢/١.
(٥) - ينظر: تفسير ابن ابي حاتم ٢١٨/١ برقم: ١١٥٨.
(٦) - ينظر: مختصر قواعد التفسير ٢٤/١.

التصديق[١]. إذن عُدت تلك المفاهيم مرتكزات أصيلة عند التابعين، واصبحت فيما بعد من ركائز وقواعد التفسير، فكان المرتكز هو العمل بالمحكم ووجوب الإيمان بالمتشابه، لهذا عندما أصل العلماء قاعدة: يجب العمل بالمحكم، والإيمان بالمتشابه[٢]. تفريقاً بين المحكم والمتشابه.

٤.٤.المطلب الرابع: ضبط الناسخ والمنسوخ

في ضوء القراءة الفاحصة تبين أنَّ التابعين (رحمهم الله) كانوا حريصين أشد الحرص على التمييز بين الآيات الناسخة والمنسوخة، وعُدتْ من الأصول التفسيرية الثابتة والرئيسية لديهم التي لا يُستغنى عنها في فهم النص القرآني. خصوصاً فيما يتعلق بالأحكام أو استنباط حكم شرعي من آية منسوخة في موطن الفتوى أو الاستدلال. وهو ما يعد خللاً في الفهم والاستدلال ما ان تغاضى عن هذا الأصل. وهذا التمييز الفاحص والدقيق تلقوه عن كبار الصحابة (رضي الله عنهم)، حيث أولوا لهذا الأصل اهتماماً بالغاً وهو حقيقة ثابتة لكل متدبر سواءً أكان باحثاً أو مفسراً لآيات القرآن.

وهذا الأصل يعتمد على دقة التحري بنسبة الحكم الشرعي إلى النصوص ذات الدلالة، باعتبار ان معرفة هذا العلم من شروط الفقيه والمفسر الذي يجب التمييز بين مراتب العمل بالآيات، لهذا ذهب كثير من التابعين الى دقة التحري في النصوص ذات العلاقة، منها:

- عند قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة الآية: ١١٥، كان لأهل العلم في هذه الآية أقوال عدة اعتمد غالبها على قول التابعين، حيث قال قتادة: «هي منسوخة» ، وذهب إلى أن المعنى صلوا كيف شئتم فإن المشرق والمغرب لله فحيث استقبلتم فثم وجه الله جل وعز لا يخلو منه مكان كما قال جل وعز {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم} [المجادلة: ٧] الآية. وقال ابن زيد: «كانوا أبيحوا أن يصلوا إلى أي قبلة شاءوا؛ لأن المشارق والمغارب لله جل وعز» فأنزل الله جل وعز {فأينما تولوا فثم وجه الله} [البقرة: ١١٥] فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «هؤلاء يهود قد استقبلوا بيتا من بيوت الله تبارك وتعالى» يعني بيت المقدس فصلوا إليه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليه بضعة عشر شهرا فقالت اليهود: ما اهتدى لقبلته حتى هديناه فكره النبي صلى الله عليه وسلم قولهم ورفع طرفه إلى السماء فأنزل الله عز وجل {قد نرى تقلب وجهك في السماء} [البقرة: ١٤٤] قال أبو جعفر: فهذا قول وقال مجاهد، والضحاك في قوله جل وعز {فأينما تولوا فثم وجه الله} [البقرة: ١١٥] معناه أينما تولوا من مشرق أو مغرب فثم وجه الله التي أمر بها وهي استقبال الكعبة فجعلوا الآية ناسخة. وجعل قتادة، وابن زيد الآية منسوخة وقال إبراهيم النخعي: " من صلى في سفر في مطر وظلمة شديدة إلى غير القبلة ولم يعلم فلا إعادة عليه {فأينما تولوا فثم وجه الله} [البقرة: ١١٥] "[٣].

في ضوء ما تقدم من هذا المثال، نلاحظ أنَّ التابعين ادركوا أن تعارض الظاهر لا يُحل إلا بالرجوع إلى ضابط النسخ. فقتادة مثلاً عدَّ الآية منسوخة، لأنها حسب فهمه تشير إلى التوسعة في التوجه بالصلاة وهذا قبل فرض القبلة إلى الكعبة المشرفة، وهنا يُستبان ضابط مهم وهو أنَّ الآية تفيد الاباحة العامة. بينما ابن زيد مثلاً لم يكتفِ بالظاهر بل ربط الآية بالسياق التشريعي وتاريخ التنزيل، فبين أنَّ التحول حصل بعد نزول الآية، فاعتبر قوله (فأينما تولوا...) لها سياق مؤقت فلا تصلح للاستدلال التشريعي بعد النسخ. وعليه كان ضابط النسخ عندهم هو التمييز بين التلاوة وبقاء العمل، لهذا قال مجاهد والضحاك ليست محكمة في الحكم بل نُسخت بحكم خاص وهو القبلة. ولو لاحظنا اختلاف الأقوال في بيان المدلول فهذا لا يعني تناقضها بل اختلاف في تطبيق الضابط، فمن قال بالنسخ نظر إلى الحكم الشرعي ، ومن قال بعدم النسخ، نظر إلى عموم المعنى التعبدي، ومن هنا يبرز تأصيلياً أن ضبط الناسخ والمنسوخ لا يفصل عن فهم دلالات الالفاظ، ولا عن معرفة اسباب النزول، ولا حتى عن سياق التشريع. إذن عُدت تلك المفاهيم مرتكزات أصيلة عند التابعين واصبحت فيما بعد من ركائز قواعد التفسير، لهذا عندما أصل العلماء قاعدة: كل ما وجب امتثاله في وقت ما، لعلة تقتضي ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقالها إلى حكم آخر، فليس بنسخ.[٤] فهو تفريق بين النسخ وتغير الحكم. فقول التابعين في هذا المثال كان تطبيقاً عملياً لضابط الناسخ والمنسوخ فلم يفسروا على ظاهر الآية فحسب، بل اعادوها إلى السياق الزمني والتشريعي وميزوا بين العبادة والحكم وحتى اختلافهم

(١) - ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤٧٣/٣.
(٢) - ينظر: مختصر قواعد التفسير ٢٤/١.
(٣) - ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ٧٧/١
(٤) - ينظر: مختصر قواعد التفسير ٢٦/١

في تنزيل الضابط كان دون انكار لأصل الضبط نفسه وكذلك قاعدة: كل حكم ورد في خطاب مشعر بالتوقيت، أو رُبط بغاية مجهولة، ثم انقضى بانقضائها، فليس بنسخ[١].

٤.٥.المطلب الخامس: العناية بالبيان والشعر العربي والوجوه اللغوية.

كان التابعون يفسرون الآيات وفق اللسان العربي المبين، وكانوا يتحرّون المعاني اللغوية بدقة، ويعتمدون على المعهود من استعمال العرب. سواء أكان من الشعر أو بلغة العرب، وللشعر منزلة كبيرة في علوم العربية؛ لأنَّه هيَّأ لها مادة واسعة في سبيل تأصيل مفردات اللغة، وبيان نسيج تركيبها وأوجه استعمالاتها. وقد عني به علماء العربية خدمة للقرآن الكريم؛ لأنه ديوان العرب، وكان له قبل الإسلام منزلة سامية لدى القبائل العربية، كما كان للشعراء مرتبة رفيعة، بَيْدَ أن بيان القرآن المعجز لم يستطع الشعر مغالبته، وصارت الألسنة تلهج بتلاوة النص القرآني الفريد.

والعناية باللغة والاستشهاد بها على مفردات وبيان بعض غريب القران، ليست مسألة طارئة على الحياة العلمية في عصر التابعين، وإنما كانت هذه العناية مألوفة عند الصحابة رضوان الله عليهم[٢]. لهذا كانت من الأصول التفسيرية الثابتة والرئيسية لديهم التي لا يُستغنى عنها في فهم النص القرآني، فأولوا لهذا الأصل اهتماماً بالغاً. لهذا ذهب كثير من التابعين إلى العناية بهذا الجانب، وما يتوافق مع لغة العرب، منها:

- عند قوله تعالى: ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ الغاشية الآية: ٥، في معنى (آنية) عن الحسن، قال: «كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حره حتى لا يكون شيء أحر منه، قد أنى حره» ، فقال الله عز وجل: {من عين آنية} يقول: «أوقد الله عليهم جهنم منذ خلقت فأنى حرها»[٣].

وغيرها الكثير من الشواهد الدالة بالاعتماد على ما عُرف من لغة العرب وأساليبها، وما يتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق أو بمعرفة الأساليب العربية، ليُستبان المعني ويتضح وفق ذلك.

حتى اصبح من الأصول التفسيرية الثابتة والرئيسية لدى غالب أهل التفسير عموماً، منهم الإمام الطبري الذي عُني بهذا الجانب كثيراً، منها:

- عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ البقرة من الآية: ٢٦٠ في تأويل كلمة (فصرهن) عند اهل اللغة، وما قول العرب فيها، فقال: وزعم بعض نحويي الكوفة أنه لا يعرف لقوله: (فصُرهن) ولا لقراءة من قرأ: "فصرهن" بضم "الصاد" وكسرها، وجهًا في التقطيع. إلا أن يكون "فصِرْ هن إليك"! في قراءة من قرأه بكسر "الصاد" من المقلوب، وذلك أن تكون "الام" فعله جعلت مكان عينه، وعينه مكان لامه، فيكون من "صَرَى يصري صَرْيًا"، فإن العرب تقول: "بات يَصْرِي في حوضه": إذا استقى، ثم قطع واستقى، . ومن ذلك قول الشاعر:

صَرَتْ نَطْرَةً لَوْ صَادَفَتْ جَوْزَ دَارِعٍ ... غَدَا وَالْعَوَاصِي مِنْ دَمِ الجَوْفِ تَنْعَرُ[٤]

(أقول) هذا بحد ذاته استدلال تأصيلي على أن التابعين أصلوا التفسير على قاعدة لغوية بيانية، تعتمد على معهود العرب، والشعر العربي، وأصول الفهم اللغوي، وتقديم اللغة العربية بفصاحتها وسياقها وأساليبها على سائر الاعتبارات في فهم مفردات ونصوص القرآن الكريم. ومن التأصيل الذي يظهر في كلامهم أنهم قدّموا اللسان العربي على الرأي أو العقل أو غيره، متى ما كان النص بحاجة إلى بيان لغوي. وهو تأصيل منهجي معتبر، ذاته الذي انتهجه الصحابة (رضي الله عنهم) وتبعهم من جاء بعدهم إلى يومنا.

فعُدت مرتكزات أصيلة عند التابعين واصبحت فيما بعد تأصيلاً وركيزة اساسية في قواعد التفسير، لهذا عندما أصل العلماء قاعدة: في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب والأشهر والأفصح، دون الشاذ أو القليل. وكذلك قاعدة: القرآن عربي، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها[٥]. قُدموا اللسان على الرأي أو العقل أو غيره.

٤.٦.المطلب السادس: الجمع بين الرواية والدراية

(١) - المصدر السابق ٢٦/١.
(٢) - ينظر: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم ٣٨/١
(٣) - ينظر: تفسير مجاهد ٧٢٤/١.
(٤) - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٤٩٨/٥.
(٥) - ينظر: مختصر في قواعد التفسير ٧/١.

من الأصول التفسيرية الثابتة والرئيسية عند التابعين، هو اعتمادهم على منهج يجمع بين الرواية عن الصحابة، والفهم العقلي والتأملي في النص القرآني، ومثل هذا الجمع ما بين الرواية والدراية يُعد من الأسس التأصيلية في منهجهم التكاملي ملتزمين بضوابط أبرزها:

- **اعتمادهم النقل عن الصحابة**: فهذا مجاهد، قال: عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاث عَرْضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقِفه عند كل آية منه وأسأله عنها.[١] وهذا ما يدل على تحريهم الدقة في النقل بالرواية عن الصحابة (رضي الله عنهم اجمعين).
- **اعتمادهم الاجتهاد والتأمل**: فهذا قتادة يقول: في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ فاطر الآية: ٣٢، كان الناس ثلاث منازل في الدنيا، وثلاث منازل عند الموت، وثلاث منازل في الآخرة؛ أما الدنيا فكانوا: مؤمن ومنافق ومشرك، وأما عند الموت فإن الله قال (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) وأما في الآخرة فكانوا أزواجا ثلاثة (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون)[٢]. فلم يكن (رحمه الله) ولا غيره يقتصر على النقل والرواية من الصحابة (رضي الله عنهم) فحسب، بل مارسوا الفهم والتدبر الذي اضفى إلى الاجتهاد في النصوص القرآنية، الذي لم يكن منقولاً عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا عن صحبه الكرام، وإنما هو تأمل شرعي في آيات الله موافق لمقاصد الشريعة الغراء، مستندين على الأصول والمنهج الذي سبق.
- **الجمع بين النقل والاجتهاد**: من المعلوم أنَّ جَمعَهمْ ما بين الإثنين لم يكن جمعاً عشوائياً بل كان جمعهم منضبط بضوابط معتبرة، لعل ابرزها هو النقل الصحيح عن الصحابة، واجتهادهم كان منضبطا وفق ما فهموه وعوه من الصحابة لم يخرجوا عن دائرة اللغة والسياق، فكان اجتهادهم مبني على فهم ودراية يرفضون كل تأويل مذموم أو قول مجرد دون أصل، أما ما يقوله التابعي من تلقاء نفسه تفسيراً وتوضيحاً لكتاب الله -عز وجل- فهو خير ما يعتمد عليه في التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة، فهم أعرف الناس بالتفسير بعد الصحابة[٣]. منها:

- عند قوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ سورة التوبة من الآية ٣، في بيان معنى (الحج الاكبر) قال: قال عمر وابن الزبير: هو يَوْمُ عَرَفَةَ هذا ما بينه الصحابة (رضي الله عنهم)، بينما ذهب التابعون ومنهم السُدي ومقاتل: هو يوم النحر، وقال يوم الحج الأكبر؛ لأن العمرة يقال لها: الحج الأصغر، وقال عطاء: في الحج الأكبر: الحج، والأصغر: العمرة [٤].

هكذا كان اجتهادهم مبني على فهم ودراية، يرفضون كل تأويل مذموم أو قول مجرد دون أصل، لذا عُدت تلك المفاهيم مرتكزات أصيلة عند التابعين واصبحت فيما بعد تأصيلاً ومن ركائز قواعد التفسير، لهذا عندما أصل العلماء قاعدة: التفسير إما بنقل ثابت أو رأي صائب، وما سواهما فباطل.[٥] كان على فهم ودراية.

(أقول): قد مثلت تلك القواعد والأصول التفسيرية عند التابعين وغيرهم ، المنهج التأصيلي الذي ساروا عليه في التفسير، وتلك القواعد الأصولية التي ظهرت اثناء ممارستهم، ما كانت إلا إرساءً لدعائم التفسير المنضبط، وكونت في عصرهم اللبنات الأولى له، وفيما بعد دونت في علم أصول التفسير. حتى اصبحت من الخصائص المنهجية في التفسير.

٥.المبحث الرابع: أثر أصول التابعين في المدارس التفسيرية اللاحقة

في ضوء ما تقدم تبين أنَّ التابعين مثلوا نقطة تحول محورية ورئيسية في تأسيس منهج تفسيري متكامل مبني على ضوابط استلهموها من الصحابة الكرام وفق رؤية واضحة لفهم للنص القرآني، كونت فيما بعد امتداداً منهجياً إلى من بعدهم، واستقرت بعدها قواعد واسس معتمدة لدى غالب أهل العلم، وهنا نبين تأثير اصول التابعين في المدارس التفسيرية بعدهم سواءً في المنهج أو المادة أو الأصول العلمية. وفق المطالب الآتية:

(١) - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٩٠/١.
(٢) - المصدر نفسه ٤٦٨/٢٠.
(٣)- ينظر: شرح مقدمة التفسير (النقاية) للسيوطي ١٦/٢.
(٤)- عيون التفاسير ٢/ ١٨٦
(٥)- ينظر: مختصر قواعد التفسير ٧/١.

٥.١.المطلب الأول: تأثير منهجهم في مدرسة التفسير بالمأثور:

تأثر كثير من أهل التفسير بمنهج التابعين وطرق استدلالهم لفهم النص القرآني، واولوه اهتماماً واضحاً خصوصا اصحاب المنهج الاثري الذين اعتمدوا بتفسيرهم للقران الكريم على الاقوال المأثورة الصحيحة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن اقوال الصحابة الكرام، وأقوال التابعين (رحمهم الله)، تماشياً مع ما فهموه وتدبروه في الآيات، فكان محط اهتمام الدارسين والباحثين، ولعل أبرز من حوى غالب هذا المنهج كان الإمام الطبري (رحمه الله) (ت:٣١٠هـ) صاحب تفسير (جامع البيان عن تأويل القران) تأصيلاً وتطبيقاً[١]، فصارت تلك الاقوال مرجعا اساسياً في تفسيره. منها:

- * عند قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ آل عمران من الآية: ٧، قال أبو جعفر: والقول الذي قاله ابن عباس: من أن: "ابتغاء التأويل" الذي طلبه القوم من المتشابه، هو معرفة انقضاء المدة ووقت قيام الساعة والذي ذكرنا عن السدي: من أنهم طلبوا وأرادوا معرفة وقت هو جاء قبل مجيئه، أولى بالصواب، وإن كان السدي قد أغفل معنى ذلك من وجه صرفه إلى حصره على أن معناه: أن القوم طلبوا معرفة وقت مجيء الناسخ لما قد أحكم قبل ذلك.

وإنما قلنا: إن طلب القوم معرفة الوقت الذي هو جاء قبل مجيئه المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم، بمتشابه آي القرآن، أولى بتأويل قوله: "وابتغاء تأويله"، لما قد دللنا عليه قبل من إخبار الله جل ثناؤه أن ذلك التأويل لا يعلمه إلا الله. ولا شك أن معنى قوله: "قضينا" "فعلنا"، قد علم تأويله كثير من جهلة أهل الشرك، فضلا عن أهل الإيمان وأهل الرسوخ في العلم منهم.[٢]

وبالمقابل كان لرأيهم اثراً في بيان القول الاصوب بعد التحري وجمع الاقوال المأثور خصوصاً عن التابعين انفسهم، فقد نقل الطبري عن قتادة قوله: (الذين آتيناهم الكتاب)، هؤلاء أصحاب نبي الله (صلى الله عليه وسلم)، آمنوا بكتاب الله وصدقوا به. ونقل قول ابن زيد في قوله: (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) ، قال: من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود فأولئك هم الخاسرون.

ثم قال ابو جعفر: وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة. لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين، وتبديل من بدل منهم كتاب الله، وتأولهم إياه على غير تأويله، وادعائهم على الله الأباطيل. ولم يجر لأصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) في الآية التي قبلها ذكر، فيكون قوله: (الذين آتيناهم الكتاب) ، موجها إلى الخبر عنهم، ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها، فيكون موجها ذلك إلى أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد انقضاء قصص غيرهم، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له[٣]. والشواهد في تفسيره كثيرة جدا.

فالطبري في تفسيره، غالباً ما يقدّم أقوال التابعين، ويُعلّل اختياره بالأثر أو السياق. حيث تبنى كثيرًا من أصولهم، كتقديم القرآن أولى على غيره في التفسير. وضبط الناسخ والمنسوخ. والتفريق بين المحكم والمتشابه ومراعاته لأسباب النزول ورفض الإسرائيليات التي لا تقوم بها حجة. والتوقف في المتشابه. وأيضاً فهم السياق القرآني كان حاضراً، فمنها ما نقله عن مجاهد في قوله (لعلكم تتقون) قال: لعلكم تطيعون. حيث قال أبو جعفر: والذى أظن أن مجاهدا أراده. بقوله هذا لعلكم أن تتقوا ربكم بطاعتكم إياه، وإقلاعكم عن ضلالتكم[٤]. فهو برر لقول مجاهد وفق فهمه للسياق القرآني. وعليه فإننا نلاحظ أنَّ الإمام الطبري أعتمد بين منهجين اصيلين ومعتبرين في تفسيره وهو يجمع ما بين النقل والاجتهاد، وفي هذا يقول الإمام السيوطي عنه:انه (جمع في تفسيره بين الرواية والرأي) ولم يشاركه في ذلك أحد قبله ولا بعده[٥].

٥.٢.المطلب الثاني: تأثيرهم في المدرسة العقلية المقيدة (مدرسة الرأي المحمود)

اصحاب هذا الاتجاه كان تأثير منهج التابعين واضحا في تفسيرهم، خصوصا من يتعامل مع النص القرآني على أنه وحدة موضوعية متكاملة خاضعة لعوامل مقيدة، حتى تلك المدارس التفسيرية التي توسعت في الرأي والاجتهاد، كمدرسة الزمخشري (الاعتزالية) والرازي (الكلامية)، حيث بقي أثر التابعين ظاهراً في ضوء

(١)- للوقوف على تفاصيل أوسع، ينظر: مناهج المفسرين- لمنيع بن عبد الحليم ٤٤/١.

(٢)- جامع البيان عن تأويل القران ٢٠٠/٦.

(٣) - المصدر السابق ٥٦٥/٢

(٤) - المصدر نفسه ٢٠١/٦.

(٥) - مناهج المفسرين ٤٥/١.

الاستشهاد بأقوالهم خصوصا في الآيات المجملة أو باعتمادهم في معرفة سبب النزول أو استشهادهم باللغة، ونحو ذلك، نوضحه بمثال عن كل مدرسة، وفق الآتي:

- * عند قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ البقرة من الآية: ٢٠، في معنى (يخطف) أورد الزمخشري أقوال عدَّة عن التابعين في بيان معناها سواء على مستوى القراءة الواردة فيها أم المعنى لها، فقال: والخطف: الأخذ بسرعة. وقرأ مجاهد (يخطف) بكسر الطاء، والفتح أفصح وأعلى، وعن ابن مسعود: يختطف. وعن الحسن: يخطف، بفتح الياء والخاء، وأصله يختطف. وعنه: يخطف، بكسرهما على إتباع الياء الخاء. وعن زيد بن علي: يخطف، من خطف. وعن أبي: يتخطف، من قوله: (يتخطف الناس من حولهم)[1].

(أقول) هكذا استثمر اصحاب هذا الاتجاه حضور الوعي لدى التابعين في بيان المعنى وفق الإطار النقلي، فهم يرون أنَّ أقوالهم ليست تقليداً محضاً، بل هي دعم لتأصيل لغوي وعقلي للنص القرآني، وهذا تأكيد على أن التابعين كانوا مصدراً مهماً ومعتبراً في النقل اللغوي وحتى الصوتي، وهنا اثبت الزمخشري قراءات مجاهد والحسن البصري وزيد وأبيٍّ، فلم يقتصر على القراءة المشهورة وأنهى المسألة بل تعداها إلى القراءات الشاذة أيضاً لتقوية البناء البلاغي ووظفها في نسق بلاغي بياني عقلاني، ليدلل على الكمِّ الهائل من المعرفة لدى التابعين، واستثمار ذلك التنوع لبيان معنى معيناً وهذا يتماشى مع منهج المدرسة البيانية التي ينتمي اليها.

- عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ البقرة من الآية: ٥١، ذكر الإمام الرازي في بيان عرض الآية قوله: يفيد أن المواعدة كانت من أول الأمر على الأربعين، وقوله في الأعراف وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر يفيد أن المواعدة كانت في أول الأمر على الثلاثين فكيف التوفيق بينهما؟ أجاب الحسن البصري فقال: ليس المراد أن وعده كان ثلاثين ليلة ثم بعد ذلك وعده بعشر لكنه وعده أربعين ليلة جميعا، وهو كقوله: ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة [البقرة: ١٩٦] [2]. هكذا استثمر اصحاب هذا الاتجاه حضور الوعي العقلي لدى التابعين في تحليل المعنى وترتيب النصوص في تحليل عقلي ضمن الاطار النقلي، دون تعارض بين النقل والعقل، خصوصاً وأنَّ طرح الإمام الرازي الإشكال بأسلوب منطقي فلسفي فجاء جواب الحسن البصري أقرب إلى مقاربة تفسيرية ربطت النصوص ببعضها في وحدة موضوعية متكاملة.

هنا مثل الحسن البصري انموذجا للتابعين الذين ساهموا في لبنات تلك المدرسة العقلية المقيدة بالنقل والنظر دون الخروج عن مقاصد الشريعة أو تجاوز النصوص.

وعليه فقد شدد العلماء على متبعي التفسير بالرأي والاجتهاد بوجوب اخضاع تفسيرهم لشروط، تندرج تحت أربعة مرتكزات رئيسية، وهي:

- _ النقل عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع التحرز عن الضعيف والموضوع.
- _ الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل: إنه في حكم المرفوع مطلقا، وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.
- _ الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.
- _ الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع. وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي (صلى الله عليه وسلم) لابن عباس في قوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".[3]

٣.٥.المطلب الثالث: تأثيرهم بالمدرسة الفقهية والعقدية

دور التابعين فيما بعدهم له أثر واضح في مدارس عدة ظهرت بعدهم، منها: مدرسة الفقه، فقد اعتمد دارسيها ذاك الامتداد العميق المستمد من بداية أصوله على يد النبي (صلى الله عليه وسلم) مروراً بالصحب الكرام ثم التابعين، إلى أنْ بلغوا مرحلة التقعيد والاستنباط، لهذا لاحظنا تأثر المدارس الفقهية المتعددة التي ظهرت فيما بعد، بمظاهر التابعين -بعد النقل-، من القياس والنظر المنضبط من المظاهر الواضحة في تلك المدارس.

وكذلك الجانب العقدي، فقد كانوا ملتزمين وفق عقيدة الصحابة بإثبات النصوص على ظاهرها دون تعطيل، محاولين الابتعاد عن الجدل الكلامي -إلا إذا ما دعت الحاجة لذلك-، فكونوا اللبنات الأولى لمنهج تأصيلي واضح بان أثره لاحقاً في التفسير وفي المباحث الفقهية أو العقدية على حدٍ سواء، خصوصاً عند الأئمة الأربعة

(١) - ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٨٦/١.

(٢) - مفاتيح الغيب ٥١١/٣

(٣) - للوقوف على تفاصيل أوسع، يراجع: الاتقان في علوم القرآن ٢/ ٣٠٤ ، والبرهان في علوم القرآن ٢/ ١٥٦-١٦١.

الذين أسسوا مذاهبهم وفق رؤية صافية وواضحة على منهج السلف. فمن الضروري جداً معرفة المفسر قواعد أصول الفقه، فإنه من أعظم الطرق في استثمار الأحكام من الآيات[١]. فكان المفسرون ولا يزالون يعتمدون على ما ذهب إليه التابعون في فهمهم للنص القرآني فيما يتعلق بالأحكام، فهذا الإمام الطبري يقول في قوله تعالى:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ البقرة من الآية: ٢٢٩، بعد كلام موسع يقول: والذي قاله مجاهد في ذلك عندنا أولى بالصواب، للذي ذكرنا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الخبر الذي رويناه عنه أنه قال- أو سئل فقيل: هذا قول الله تعالى ذكره:" الطلاق مرتان" فأين الثالثة؟ قال: "فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان". فأخبر صلى الله عليه وسلم، أن الثالثة إنما هي قوله:" أو تسريح بإحسان" فإذ كان التسريح بالإحسان هو الثالثة، فمعلوم أن قوله:" فإن طلقها فلا تحل لا من بعد حتى تنكح زوجا غيره" من الدلالة على التطليقة الثالثة بمعزل، وأنه إنما هو بيان عن الذي يحل للمسرح بالإحسان إن سرح زوجته بعد التطليقتين، والذي يحرم عليه منها، والحال التي يجوز له نكاحها فيها وإعلام عباده أن بعد التسريح على ما وصفت لا رجعة للرجل على امرأته.[٢]

بهذا الاستدلال عضد الطبري المسألة ومال إلى قول التابعي مجاهد فهو أولى بالصواب كما قال. وهنا نذكر بعضا من ذلك التأثير على مستوى الفقه أو العقائد عموماً، منها:

- عند قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ الفجر الآية: ٢٢، ذكر الإمام القرطبي في بيان معنى: (وجاء ربك) أي: أمره وقضاؤه، قاله الحسن. وهو من باب حذف المضاف. بهذه التصدير لقول الحسن البصري استمد الإمام القرطبي بقية بيانه وايضاحه، وفق التأويل المعتدل للتابعين، وكيفية تأويل النص على وفق منهج السلف في تأويلهم لآيات الاسماء أو الصفات، ولهذا قال بعد ذلك:

وقيل: أي جاءهم الرب بالآيات العظيمة، وهو كقوله تعالى: إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام [البقرة: ٢١٠]، أي بظلل. وقيل: جعل مجيء الآيات مجيئا له، تفخيما لشأن تلك الآيات. ومنه قوله تعالى في الحديث: (يا بن آدم، مرضت فلم تعدني، واستسقيتك فلم تسقني، واستطعمتك فلم تطعمني). وقيل: وجاء ربك أي زالت الشبه ذلك اليوم، وصارت المعارف ضرورية، كما تزول الشبه والشك عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه. قال أهل الإشارة: ظهرت قدرته واستولت، والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأنى له التحول والانتقال، ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأن في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز[٣].

إذن كان للتابعين الأثر البالغ في ضبط منهج التفسير عند الفقهاء، ولا سيماء تلك التفاسير التي تعنى بالأحكام كتفسير الامام القرطبي أو الجصاص أو الكياالهراسي أو ابن العربي وغيرهم، وهم يستمدون رؤياهم على وفق ما ذهب إليه التابعين، كما فعل الجصاص عند بيان أحكام تتعلق (بالميتة) وهو ينتقل بين أقوال التابعين وبعض الصحابة لبيانها والتعليق فيما بعد فقال: وقد روي عن الحسن ومحمد بن سيرين وسعيد بن المسيب وإبراهيم إباحة شعر الميتة وصوفها وروي عن عطاء كراهية الميتة وعظام الفيل وعن طاووس كراهة عظام الفيل، وروي عن ابن عمر أنه رأى على رجل فروا فقال: لو أعلمه ذكيا لسرني أن يكون لي منه ثوب. وذكر أنس أن عمر رأى على رجل قلنسوة ثعلب فنزعها، وقال: ما يدريك لعله مما لم يذك. وقد اختلف في جلود السباع فكرهها قوم وأباحها أصحابنا ومن قدمنا ذكره من الصحابة والتابعين وقد روى عطاء عن ابن عباس وأبو الزبير عن جابر ومطرف عن عمار إباحة الانتفاع بجلود السباع، وعن علي بن حسين والحسن وإبراهيم والضحاك وابن سيرين لا بأس بلبس جلود السباع، وعن عطاء عن عائشة في الفراء دباغها ذكاتها[٤].

(أقول): وفق الاستقراء اتضح أن غالب المفسرين تأثروا بمنهج التابعين خصوصاً فيما يتعلق بظاهر النص مع فقه المعنى، متحرزين من القول المجرد دون أثر، مستنبطين الأحكام بضوابط استقرائية إرساءً وترسيخاً لأصول التفسير حتى اصبحت منهجاً معتمدا لدى أغلب الدارسين.

---

(١) -ينظر: البرهان في علوم القران ٦/٢

(٢) -ينظر: جامع البيان ٥٨٧/٤.

(٣) -ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٥٥/٢٠.

(٤) -ينظر: أحكام القران للجصاص ١٥٠/١.

٤.٥.المطلب الرابع: تثبيت قواعد أصول التفسير

ان النهج الذي انتهجه التابعون (رحمهم الله) اصبح فيما بعد من أصول علم التفسير، بل من أحسن طرق التفسير الذي سار عليه كل مفسر يسعى لأن يكون تفسيره منضبطا ومقبولاً عند أهل العلم، لهذا نلاحظ أن المصنفين اثبتوها في مصنفاتهم، منهم: صاحب كتاب(الاتقان في علوم القران للسيوطي[١]) و (البرهان في علوم القران للزركشي) و(مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية)[٢] و(مباحث في علوم القران لصبحي الصالح[٣]) و (الواضح في علوم القران لمصطفى ديب وآخرون[٤]) و (دراسات في علوم القران لفهد الرومي[٥]) وغيرهم الكثير، وبهذا فإن ما أقره التابعون من قواعد صار فيما بعد من أصول التفسير، حيث يؤصلون في كتبهم تلك الأصول التي التمسوها عند التابعين، وعدوها من أحسن طرق التفسير، ولعل أبرزها:

- **تفسير القرآن بالقرآن:** وهي المرحلة الأولى التي يعتمد عليها المفسر. بل إحدى أهم المصادر الرئيسية وأصح الطرق في ذلك، كون صاحب الصنعة أعلم وأعرف بصنعته من غيره – ولله المثل الأعلى- فما أُجمل في مكان فإنه يفسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فقد يبسط في مكان آخر[٦].
- **تفسير القرآن بالسُّنة:** تُعد هذه المرحلة الثانية التي يجب أن ينتقل إليها المفسر بعد المرحلة الأولى، ويبحث في الأحاديث الصحيحة عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لموضع الآية، لقوله (صلى الله عليه وسلم): ((ألا إنني أُتيت القرآن ومثله معه))[٧]. أي السُّنة.
- **تفسير القرآن بأقوال الصحابة:** هذه هي لمرحلة الثالثة التي يجب أن ينتقل إليها المفسر بعد المرحلتين الأوليتين[٨]، بالبحث والتقصي عن أقوال الصحابة (رضي الله عنهم) في التفسير، لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها كمعرفة أوضاع اللغة وأسرارها، ومعرفة عادات العرب وقت نزول القرآن، ومعرفة عادات اليهود والنصارى حينذاك، وقوة الفهم وسعة الإدراك ومعرفة أسباب النزول وما أحاط بآيات القرآن من أحداث وقت نزولها؛ لذا ولغيره تبوأ تفسيرهم هذه المنزلة من القبول عند علماء أهل السنة والجماعة لا سيما علماء الصحابة وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين كابن مسعود وابن عباس.[٩]
- **تفسير القرآن بأقوال التابعين:** هذه هي المرحلة الرابعة التي يجب أن ينتقل إليها المفسر بعد البحث والتقصي عن الصحيح منها في أقوال الأئمة التابعين (رحمهم الله) في التفسير، وذلك لأنهم أعلم الناس بالتفسير بعد الصحابة الكرام، إذْ أن غالب أئمتهم تتلمذوا على يد الصحابة –تقدم ذكرهم مفصلاً- فعن مجاهد قال: عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها[١٠].
- **تفسير القرآن باللغة:** ينتقل المفسر الى هذه المرحلة بعد ان يقف على الآيات الأخرى بمعناها، وتفسير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لها، أو يستأنس بتفسير الصحابة والتابعين لها، وتعد معرفة اللغة مهمة للمفسر كما تقدم- ليحسن بها فهم القرآن وتفسيره.
- **تفسير القرآن باستنباط المعاني واللطائف والدلالات:** لا يصل إلى هذه المرحلة إلا بعد أن يطلع المفسر على جميع المراحل –انفة الذكر- إذْ بها يتحقق العلم بمراد الآية، بالوقوف الصحيح على معناها، بعد ذلك ينتقل إلى مرحلة (التأويل)، إذ به يعمل رأيه، بعد تعمقٍ لنظرهِ وإطالةٍ لتدبرهِ، ليحسن الاستنباط ويستخرج اللطائف ويوجه الدلالات بشكل صحيح، توحي بها الآية، منطلقا من العلم المتحقق من المراحل التفسيرية السابقة.

(أقول): تأصيل التفسير غالبه عن طرق التابعين في فهم النصوص القرآنية، حيث كان: تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة، وضبط اللغة، والاستعمال العربي، والعناية بالسياق والمقصد، والاجتهاد المقيد، ونحو ذلك من اساسيات التفسير. لهذا نجد أن من

---

(١) –ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣٣٤/٢.

(٢) –ينظر: مقدمة في أصول التفسير ٣٩/١

(٣) –ينظر: مباحث في علوم القرآن٢٩٩/١.

(٤) –ينظر: الواضح في علوم القرآن ٢١٣/١.

(٥) –ينظر: دراسات في علوم القرآن ١٢٥/١.

(٦)– ينظر: مقدمة في أصول التفسير ص٩٣

(٧)– أخرجه أبو داود في سننه/ كتاب السنة برقم ٤٦٠٤، وهو صحيح.

(٨)– الانتقال هنا يفيد الترتيب لا التجميع، بمعنى ليس عليه أنْ يجمع المراحل مع بعضها البعض لتفسير آية أو مفردة ما – إنْ كان فنعمَّا هي– وإنما إنْ تعذر تفسيره في مرحلة متقدمة انتقل إلى المرحلة التي تليها، وهكذا.

(٩)– ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٨٨/١.

(١٠)– ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة ٢٦٨/١، والزيادة والإحسان في علوم القرآن ٣٩٣/٩.

الاساسيات التي يجب أنْ يتجنبها المفسر في تفسيره، هو: الحذر من اتباع المتشابهات وترك المحكمات الذي يؤدي الى سوء التأويل، أو وضع النص في غير موضعه، أو دعوى النسخ بلا برهان، أو الجهل بالسنن والاثار، وكذلك الثقة بالإسرائيليات دون تمحيص، أو الشرود عن اجماع الأمة، ونحو ذلك[١].

٥.٥.المطلب الخامس: التأسيس العلمي لأساليب التفسير[٢].

من المعلوم أن التابعين لم يؤصلوا لأساليب التفسير، كالأسلوب التحليلي أو الموضوعي أو الموازن أو الاجمالي أو المقاصدي كـ(مصطلح)، إلا أن أقوالهم في التفسير وتطبيقاتهم كونت اللبنات الأولى ضمنياً لتلك الاساليب، فكان لربط المعاني بغايات مقاصد الشريعة الكبرى مثل العدل والإصلاح والإحسان وغيرها. واضحاً مستحضرين المقاصد في بيانهم وذلك لفهم النصوص القرآنية الشاملة لا الفهم الجزئي، تطبيقا لقاعدة: العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب[٣]. وربطها مع الحياة اصلاحاً للفرد والمجتمع تعميماً للهداية والموعظة، وهو بحد ذاته من جوهر الأساليب التفسيرية. بينا جزءً منها فهي غزيرة من دراستنا، ونبين هنا بعضا آخر، وفق الآتي:

- عند قوله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴾ المدثر الآية: ٣٧، ذكر ابن عطية عن الحسن البصري قوله في هذه الآية: (قال الحسن: هو وعيد، نحو قوله تعالى: فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ [الكهف: ٢٩] ، وقوله تعالى: وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ [الحجر: ٢٤])[٤].

بهذا الأثر وبغيره يؤسس لقواعد في فهم الخطاب الإلهي بان الأمر قد يأتي بصيغة الاباحة ويراد به التهديد أو التهكم، وهو أساس أصولي وظفه المفسرون المتأخرون في تفسير نصوص القرآن، وفق نظرة الأسلوب الموضوعي.

- عند قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٧٩، قال التابعي مقاتل بن سليمان في تفسير الآية: يعني بقاء يحجز بعضكم عن بعض يا أولي الألباب يعني من كان له لب أو عقل فذكر القصاص فيحجزه الخوف عن القتل لعلكم يعني لكي تتقون الدماء مخافة القصاص[٥].

هنا ربط التابعي الحكم بهدف حفظ النفس وهو أحد الضروريات الخمس وهو بحد ذاته يعد من جوهر الأسلوب المقاصدي.

- * عند قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ البقرة من الآية: ١٨٥، روي عن عبيد بن سليمان، قال سمعت الضحاك بن مزاحم في قوله:" يريد الله بكم اليسر" -الإفطار في السفر-"ولا يريد بكم العسر"، الصيام في السفر[٦].

(أقول): أظهر تفسير التابعي الضحاك بوضوح مقصد التيسير ورفع الحرج، وهو مقصد شرعي متكرر في الخطاب القرآني. وهو جوهر الأسلوب التحليلي.

٦.الخاتمة:

الحمد لله على إتمام نعمه، وكمال فضله، والصلاة والسلام على النبي محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه، وبعد:

فإن أصول التفسير عند التابعين كونت اللبنة التأسيسية لعلم التفسير، تأثر بها المفسرون من مختلف المدارس، وأشادوا بها، حتى من خالفوهم في بعض الفروع. ولا تزال أقوالهم مرجعاً مهماً وملهماً للمفسرين حتى اليوم، فكانت لنظرتهم ورؤياهم في التفسير وغيره انموذجاً منهجياً متوازناً يجمع بين النقل والعقل، مع احترام لحدود النص.

وبعد دراسة تأصيلية منهجية موجزة لأصول التفسير عند التابعين والوقوف على منهجهم بالوصف تارةً وبالتحليل تارةً اخرى، وبالتعرف على مدارسهم ومشاربها، توصلت الدراسة إلى بعض النتائج، أهمها:

---

(١)- ينظر: كيف نتعامل مع القران العظيم ص٢٤٧ وما بعدها.

(٢)- (الاساليب التفسيرية) جمعٌ، مفردها أسلوب، وهي طريقة عرض المفسر لمادته العلمية وفق فنٍ مخصص كالاسلوب (التحليلي) أو (الموضوعي) أو (الموازن -المقارن) أو (المقاصدي)، في تفسيره للقرآن محاولاً الوصول إلى مراد الله تعالى وفق الطاقة البشرية. ينظر: جواب السائلين عن أبرز مباحث علوم القرآن ومناهج المفسرين ص٤١٦. (بتصرف يسير)

(٣) -مختصر قواعد التفسير ٢٢/١.

(٤) -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٩٨/٥.

(٥) -تفسير مقاتل بن سليمان ١٥٩/١.

(٦) -ينظر: جامع البيان في تأويل القران ٤٧٦/٣

- حلقة الوصل العلمية بين الصحابة الكرام وأهل العلم من بعدهم، كان التابعين، فقد بان دورهم المحوري وفق ما فهموه وتعلموه، في وضع اللبنات الأولى في تثبيت وتقعيد قواعد وأصول التفسير.
- في ضوء ما نُقل من أقوالهم التفسيرية برزت مجموعة من الأصول والقواعد، أبرزها: اعتبار السياق الزماني والمقامي للنصوص، ومراعاتهم لأسباب النزول، والتمييز بين المُحكم والمتشابه، وضبط الناسخ والمنسوخ، والتوقف في المتشابهات والغيبيات، وجمعهم بين الرواية والدراية، ونحو ذلك.
- المصادر التفسيرية التي اعتمداها التابعون، هي ذاتها التي أثرت بمن بعدهم، واضيفت أقوال التابعين كمصدر تفسيري مهم بجانب المصادر المعتمدة لدى التابعين وهي: تفسير القرآن بالقران، والقرآن بالسنة وبأقوال الصحابة وباللغة وبالاجتهاد.
- المدارس التفسيرية الكبرى التي قامت على يد الصحابة الكرام، وتتلمذوا على أيديهم جمع من التابعين، كان لهم الأثر البالغ في المدارس التفسيرية اللاحقة، من الإمام الطبري إلى ابن كثير، مروراً بالمدارس الكلامية والعقلية والفقهية واللغوية بل تعدى هذا التأثير إلى مناهج التفسير الحديثة.
- رؤية التابعين لأساليب التفسير ضمنية دون المصطلح، فقد مارسوها غالباً، وبرزت في تفسيرهم بربط المعاني والآيات وتحليل النصوص مع الأهداف الكبرى للشريعة الإسلامية، دون تنصيص على هذا المنهج كمصطلح، بطريقة أقرب ما تكون إلى التدوين المنهجي.

أخيراً: بان واضحاً أنَّ التابعين (رحمهم الله) شكلوا معبراً منهجياً راسخاً في طريقة تعاملهم مع النصوص القرآنية، وساهموا مساهمة جبارة في تأصيل قواعد الفهم وطريقة التفسير لمن بعدهم، تبلورت بمصنفات وجهود علمية ودراسات اصولية، فلم تتقيد بالفهم وحسب، بل هي دراسة جذور الأصول ومنابعها على وفق فهم السلف، أدى لقراءة تفسيرية برؤية أصيلة راسخة، يكون نورها الكتاب والسُّنة، وسمتها الفهم المعتدل وقوتها الاجتهاد المنضبط.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **أصول في التفسير**- لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت:١٤٢١هـ)- أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية- الناشر: المكتبة الإسلامية- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **أصول التفسير وقواعده**- للشيخ العك، خالد عبد الرحمن، دار النفائس، بيروت– لبنان، ط٥، ١٤٢٨هـ
- **الإتقان في علوم القرآن**- لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)- المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٣٩٤هـ.
- **الأصلان في علوم القرآن**- أ. د. محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله- الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف- ط٤ منقحة ١٤١٧هـ.
- **اختصار علوم الحديث**، لابن كثير- مطبعة حجازي، القاهرة- ١٣٥٥هـ.
- **أحكام القرآن الكريم**- لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.
- **أسباب نزول القرآن**- لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، (ت:٤٦٨هـ)- المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان- الناشر: دار الإصلاح – الدمام- الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ.
- **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الفكر،بيروت،١٤٢١هـ.
- **البحر المحيط** - لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٢٨هـ.
- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**- لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)- حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي- الناشر: دار طيبة.
- **التفسير والمفسرون**- للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت:١٣٩٨هـ)- الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة- عدد الأجزاء: ٣ (الجزء ٣ هو نُقول وُجدت في أوراق المؤلف بعد وفاته ونشرها د محمد البلتاجي).

- **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**- لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية ، بيروت- ١٤٢٩هـ.
- **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**- الأستاذ الدكتور فضل حسن عبَّاس- الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن- الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ.
- **تفسير مجاهد**- أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)- المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل- الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر- الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
- **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى:٣٢٧هـ)- المحقق: أسعد محمد الطيب- الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية- ط٣ ١٤١٩هـ
- **تفسير مقاتل بن سليمان**- لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت:١٥٠هـ)- المحقق: عبد الله محمود شحاته- دار إحياء التراث – بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.
- **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)- حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي- راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو- الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت- ط١ ١٤١٩هـ.
- **تفسير عبد الرزاق**- أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ- الناشر: دار الكتب العلمية- دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.- الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**- المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر- الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)
- **التفسير الوسيط للزحيلي**- المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي- الناشر: دار الفكر – دمشق- الطبعة : الأولى - ١٤٢٢هـ
- **جواب السائلين عن أبرز مباحث علوم القرآن ومناهج المفسرين**- للدكتور شعيب رعد فرهود- دار شمس الاندلس للنشر والتوزيع بغداد ١٤٤٥هـ- ٢٠٢٤.
- **جامع البيان في تأويل القرآن**- لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)- المحقق: أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)- تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.
- **دليل الحيران على مورد الظمآن**- لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي (ت:١٣٤٩هـ) دار الحديث- القاهرة
- **دراسات في علوم القرآن**- أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي- الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف- ط١٢ ١٤٢٤هـ.
- **دراسات في علوم القرآن الكريم**- لمحمد بكر محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ)- الناشر: دار المنار- الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** – لجلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، دار هجر- مصر ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- **زاد المسير في علم التفسير**- لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
- **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**- محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت: ١١٥٠ هـ)- المحقق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم).-الناشر: مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة –ط١ ١٤٢٧هـ.
- **سنن أبي داود**- لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني- دار الكتاب العربي - بيروت

- **سنن الترمذي**- لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي (ت:٢٧٩ هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان ١٤٢١هـ.
- **سنن ابن ماجه**- لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، فيصل عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية.
- **شرح مقدمة التفسير (النقاية) للسيوطي**- لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)- الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير
- **فصول في أصول التفسير**- د.مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار- تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان- دار ابن الجوزي- ط٣، ١٤٢٣هـ
- **العين**- لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠ هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- الناشر: دار ومكتبة الهلال ١٤٢٣هـ.
- **صحيح البخاري**- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه- صحيح البخاري- لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
- **الصحيح المسند من أسباب النزول**- لمُقْبل بن هادِي بن مُقْبِل الهمداني (ت: ١٤٢٢ هـ)- مكتبة ابن تيمية – القاهرة- ط٤، ١٤٠٨هـ.
- **صحيح مسلم**- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **صحيح ابن حبان**- بترتيب ابن بلبان- لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)- المحقق: شعيب الأرنؤوط- الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.
- **صفوة التفاسير**- المؤلف: محمد علي الصابوني- الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة- ط١، ١٤١٧ هـ
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**- أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧ هـ)- تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور- مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي- الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان- الطبعة: ١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
- **عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم**- أ.د. أحمد بن محمد الخراط ،الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- **عيون التفاسير بحذف التكارير**- للإمام الحسين بن إبراهيم الغواص (ت: ٨٢٩هـ) (اطروحة دكتوراه) ثلاث أجزاء- تحقيق: حسين عبد الوهاب حسين ومحمد حميد عواد ومحمد نوري حمه- كلية الآداب- الجامعة العراقية- ١٤٣٨هـ.
- **علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر**- لعبد المنعم النمر (ت:١٩٩١م)- الناشر: دار الكتب الاسلامية – القاهرة- ط١، ١٤٠٥هـ.
- **كيف نتعامل مع القران العظيم**- للدكتور المفكر يوسف القرضاوي (رحمه الله)- مركز بحوث السنة والسيرة- جامعة قطر ١٩٩٧م.
- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** - جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨ هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام شامل- دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١٤٢٧هـ.
- **لسان العرب**- لابن منظور، محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م
- **مباحث في علوم القرآن**- لصبحي الصالح- الناشر: دار العلم للملايين- الطبعة: الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠م.
- **مباحث في علوم القرآن**- للدكتور منَّاع بن خليل القطان (ت١٤٢٠هـ)- الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الطبعة:٣ ١٤٢١هـ.
- **معالم التنزيل في تفسير القرآن** - لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)- المحقق: عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي –بيروت- ط١، ١٤٢٠هـ.

- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**- لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت:٦٠٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢١هـ.
- **مقدمة في أصول التفسير**- لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)- الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان- الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **مشاهير علماء الأمصار**، لابن حبان- مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٥٩م.
- **مناهج المفسرين**- لمنيع بن عبد الحليم محمود (ت:١٤٣٠هـ)- الناشر: دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني – بيروت- ١٤٢١هـ.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**- لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤٢٢هـ.
- **الموسوعة القرآنية**- لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت:١٤١٤هـ)- الناشر: مؤسسة سجل العرب- الطبعة: ١٤٠٥هـ.
- **مختصر في قواعد التفسير**- لخالد بن عثمان السبت- الناشر: دار ابن القيم- دار ابن عفان- الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**- لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:٢٤١هـ)- المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- **الناسخ والمنسوخ**- لأبي القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (ت:٤١٠هـ)- المحقق: زهير الشاويش، محمد كنعان- الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
- **نفحات من علوم القرآن**- لمحمد أحمد محمد معبد (ت:١٤٣٠هـ)- الناشر: دار السلام – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ.
- **نقد الصحابة والتابعين للتفسير**- لعبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله إشراف: الأستاذ الدكتور/ زاهر بن عواض الألمعي أطروحة دكتوراه: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه العام الجامعي: ١٤٢٧هـ
- **الواضح في علوم القرآن**- لمصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو- دار الكلم الطيب/ دار العلوم الانسانية– دمشق- ١٤١٨هـ-.
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد** - أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) حقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤١٥هـ.

References

- After the Holy Quran
- Principles of Exegesis - by Muhammad ibn Salih ibn Muhammad al-Uthaymin (d. 1421 AH) - Supervised by: The Research Department of the Islamic Library - Publisher: The Islamic Library - Edition: First, 1422 AH.
- Principles and Rules of Exegesis - by Sheikh al-Akk, Khalid Abd al-Rahman, Dar al-Nafais, Beirut, Lebanon, 5th edition, 1428 AH.
- Mastery in the Sciences of the Qur'an - by Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH) - Edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim - Publisher: The Egyptian General Book Organization - 1394 AH.
- The Two Foundations in the Sciences of the Qur'an - by Professor Dr. Muhammad Abd al-Mun'im
- Abridgment of the Sciences of Hadith, by Ibn Kathir - Hijazi Press, Cairo - 1355 AH.

• Introducing Students to the Methodologies of Interpreters - by Salah Abd al-Fattah al-Khalidi, Dar al-Qalam, Damascus, Dar al-Shamiyya, Beirut - 1429 AH.

• Interpretation and Interpreters: Its Foundations, Trends, and Methodologies in the Modern Era - by Professor Dr. Fadl Hasan Abbas - Publisher: Dar al-Nafais for Publishing and Distribution, Jordan - Edition: First, 1437 AH.

• The Interpretation of Mujahid - by Abu al-Hajjaj Mujahid ibn Jabr al-Tabi'i al-Makki al-Qurashi al-Makhzumi (d. 104 AH) - Edited by: Dr. Muhammad Abd al-Salam Abu al-Nil - Publisher: Dar al-Fikr al-Islami al-Haditha, Egypt - Edition: First, 1410 AH. • Tafsir al-Qur'an al-'Azim by Ibn Abi Hatim - Abu Muhammad Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Idris ibn al-Mundhir al-Tamimi, al-Hanzali, al-Razi Ibn Abi Hatim (d. 327 AH) - Edited by: As'ad Muhammad al-Tayyib - Publisher: Nizar Mustafa al-Baz Library - Kingdom of Saudi Arabia - 3rd Edition, 1419 AH

• Tafsir Muqatil ibn Sulayman - by Abu al-Hasan Muqatil ibn Sulayman ibn Bashir al-Azdi al-Balkhi (d. 150 AH) - Edited by: Abdullah Mahmud Shahata - Dar Ihya' al-Turath - Beirut - 1st Edition - 1423 AH

• Tafsir al-Nasafi (Madarik al-Tanzil wa Haqa'iq al-Ta'wil) - Abu al-Barakat Abdullah ibn Ahmad ibn Mahmud Hafiz al-Din al-Nasafi (d. 710 AH) - Edited and its hadiths authenticated by: Yusuf Ali Badawi - Reviewed and introduced by: Muhyi al-Din Dib Misto - Publisher: Dar

• Rulings of the Noble Qur'an - by Ahmad ibn Ali Abu Bakr al-Razi al-Jassas al-Hanafi (d. 370 AH) - edited by Muhammad Sadiq al-Qamhawi, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut, 1405 AH.

• The Reasons for the Revelation of the Qur'an - by Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Ali al-Wahidi al-Nisaburi (d. 468 AH) - edited by Issam ibn Abd al-Muhsin al-Humaidan - published by Dar al-Islah, Dammam - second edition, 1412 AH.

• The Proof in the Sciences of the Qur'an, by Badr al-Din Muhammad ibn Abd Allah al-Zarkashi (d. 794 AH) - its hadiths were authenticated, annotated, and introduced by Mustafa Abd al-Qadir Atta, Dar al-Fikr, Beirut, 1421 AH. • Al-Bahr al-Muhit (The Surrounding Sea) – by Muhammad ibn Yusuf, known as Abu Hayyan al-Andalusi (d. 745 AH), edited by Sheikh Adel Ahmed Abdel-Mawjoud – Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1428 AH.

• Tadrib al-Rawi fi Sharh Taqrib al-Nawawi (Training the Narrator in Explaining al-Nawawi's Approximation) – by Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH) – edited by Abu Qutayba Nazar Muhammad al-Faryabi – published by Dar Tayyiba.

• Interpretation and Interpreters - by Dr. Muhammad al-Sayyid Husayn al-Dhahabi (d. 1398 AH) - Publisher: Wahba Library, Cairo - Number of Volumes: 3 (Volume 3 consists of excerpts found in the author's papers after his death and published by Dr. Muhammad al-Baltaji).

Foundation - Edition: First, 1420 AH • Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an = Tafsir al-Qurtubi - Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr ibn Farah al-Ansari al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi (d. 671 AH) - edited by Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfayish - Publisher: Dar al-Kutub al-Misriyyah - Cairo - Edition: Second, 1384 AH.

• Dalil al-Hayran 'ala Mawrid al-Zam'an - by Abu Ishaq Ibrahim ibn Ahmad ibn Sulayman al-Marghani al-Tunisi (d. 1349 AH) - Dar al-Hadith - Cairo

• Dirasat fi 'Ulum al-Qur'an - by Dr. Fahd ibn Abd al-Rahman ibn Sulayman al-Rumi - Publisher: Copyright reserved to the author - 12th edition, 1424 AH.

• Dirasat fi 'Ulum al-Qur'an al-Karim - by Muhammad Bakr Muhammad Bakr Ismail (d. 1426 AH) - Publisher: Dar al-Manar - Edition: Second, 1419 AH.

• Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bi al-Ma'thur (The Scattered Pearls in Exegesis Based on Tradition) – by Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH), Dar Hajar, Egypt, 1424 AH/2003 CE.

• Zad al-Masir fi 'Ilm al-Tafsir (Provisions for the Journey in the Science of Exegesis) – by Jamal al-Din Abu al-Faraj 'Abd al-Rahman ibn 'Ali ibn Muhammad al-Jawzi (d. 597 AH), edited by 'Abd al-Razzaq al-Mahdi, published by Dar al-Kitab al-'Arabi, Beirut, first edition, 1422 AH.

• Al-Ziyadah wa al-Ihsan fi 'Ulum al-Qur'an (Extension and Improvement in the Sciences of the Qur'an) – by Muhammad ibn Ahmad ibn Sa'id al-Hanafi al-Makki, Shams al-Din, known like his father as al-Kalim al-Tayyib, Beirut - 1st Edition, 1419 AH

• Tafsir Abd al-Razzaq - Abu Bakr Abd al-Razzaq ibn Hammam ibn Nafi' al-Himyari al-Yamani al-San'ani (died: 211 AH - Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Study and verification: Dr. Mahmoud Muhammad Abduh - Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut. - Edition: First, 1419 AH.

• Al-Tafsir al-Wasit lil-Qur'an al-Karim (The Intermediate Commentary on the Noble Qur'an) - Author: A group of scholars under the supervision of the Islamic Research Academy at Al-Azhar - Publisher: The General Authority for Amiri Printing Affairs - Edition: First, (1393 AH = 1973 CE) - (1414 AH = 1993

• Al-Tafsir al-Wasit lil-Zuhayli (The Intermediate Commentary by al-Zuhayli) - Author: Dr. Wahba ibn Mustafa al-Zuhayli - Publisher: Dar al-Fikr, Damascus - Edition: First, 1422 AH

• Jawāb al-Sā'ilīn 'an Abraz Mabahith 'Ulūm al-Qur'ān wa Manāhij al-Mufassirin (Answering Questions on the Most Prominent Topics in Qur'anic Sciences and the Methodologies of Commentators) - By Dr. Shu'ayb Ra'd Farhud - Dar Shams al-Andalus for Publishing and Distribution, Baghdad, 1445 AH

• Jamī' al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān (The Comprehensive Explanation in the Interpretation of the Qur'an) - By Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amili, Abu Ja'far al-Tabari (d. 310 AH) - Edited by: Ahmad Muhammad Shakir - Publisher: Al-Risālah

al-Samarrai - Publisher: Dar wa Maktabat al-Hilal, 1423 AH.

• Sahih al-Bukhari - The Concise, Authentic, and Attributed Collection of Matters Concerning the Messenger of God (peace and blessings be upon him), His Sunnah, and His Life - Sahih al-Bukhari - by Muhammad ibn Ismail Abu Abdullah al-Bukhari al-Ju'fi, edited by Muhammad Zuhair ibn Nasir al-Nasir, Dar Tawq al-Najat, reprinted from the Sultaniyyah edition with the addition of numbering by Muhammad Fuad Abd al-Baqi, 1st edition, 1422 AH.

• The Authentic and Attributed Collection of the Reasons for Revelation - by Muqbil ibn Hadi ibn Muqbil al-Hamdani (d. 1422 AH) - Maktabat Ibn Taymiyyah - Cairo - 4th edition, 1408 AH. • Sahih Muslim - The Abridged Authentic Collection of Hadiths Transmitted by Trustworthy Narrators from Trustworthy Narrators to the Messenger of God (peace and blessings be upon him) - by Muslim ibn al-Hajjaj Abu al-Hasan al-Qushayri al-Naysaburi (d. 261 AH) - edited by Muhammad Fuad Abd al-Baqi - published by Dar Ihya al-Turath al-Arabi - Beirut.

• Sahih Ibn Hibban - arranged by Ibn Balban - by Muhammad ibn Hibban ibn Ahmad ibn Hibban ibn Mu'adh ibn Ma'bad al-Tamimi, Abu Hatim al-Darimi al-Busti (d. 354 AH) - edited by Shu'ayb al-Arna'ut - published by Mu'assasat al-Risalah - Beirut - second edition, 1414 AH.

• Safwat al-Tafasir (The Essence of Interpretations) - Author: Muhammad Ali al-Sabuni - Publisher: Dar al-Sabuni for 'Aqila (d. 1150 AH) – edited by: The original source of this book is a collection of master's theses by the following professors and researchers: (Muhammad Safa' Haqqi, Fahd 'Ali al-'Andas, Ibrahim Muhammad al-Mahmoud, Muslih 'Abd al-Karim al-Samadi, Khalid 'Abd al-Karim al-Lahim). Published by: Research and Studies Center, University of Sharjah, first edition, 1427 AH.

• Sunan Abi Dawud - by Abu Dawud Sulayman ibn al-Ash'ath al-Sijistani - Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut

• Sunan al-Tirmidhi - by Muhammad ibn Isa ibn Surah ibn Musa al-Tirmidhi (d. 279 AH) - Dar Ihya al-Turath al-Arabi - Beirut, Lebanon, 1421 AH

• Sunan Ibn Majah - by Ibn Majah Abu Abdullah Muhammad ibn Yazid al-Qazwini (d. 273 AH), edited by Muhammad Fuad Abd al-Baqi and Faisal Isa al-Babi al-Halabi, Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyyah

• Sharh Muqaddimat al-Tafsir (al-Nuqayah) by al-Suyuti - by Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH) - commentary by Abd al-Karim ibn Abd Allah ibn Abd al-Rahman ibn Hamad

• Fusul fi Usul al-Tafsir - by Dr. Musa'id ibn Sulayman ibn Nasir al-Tayyar - introduction by Dr. Muhammad ibn Salih al-Fawzan - Dar Ibn al-Jawzi - 3rd edition, 1423 AH

• Al-Ayn - by Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim al-Farahidi al-Basri (d. 170 AH), edited by Dr. Mahdi al-Makhzumi and Dr. Ibrahim

• Al-Kashshaf 'an Haqa'iq al-Tanzil wa 'Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil - by Jar Allah Mahmud ibn Umar al-Zamakhshari (d. 538 AH), edited by Muhammad Abd al-Salam Shamil - Dar al-Kutub al-'Ilmiyya - Beirut, Lebanon, 1427 AH.

• Lisan al-'Arab - by Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram ibn Manzur al-Afriqi al-Misri - Dar Sader, Beirut, 1st Edition, 2000 CE.

• Studies in Qur'anic Sciences - by Subhi al-Salih - Publisher: Dar al-'Ilm lil-Malayin - Edition: 24th Edition, January 2000 CE.

• Studies in the Sciences of the Qur'an - by Dr. Manna' bin Khalil Al-Qattan (d. 1420 AH) - Publisher: Al-Ma'arif Library for Publishing and Distribution - Edition: 3, 1421 AH.

• Landmarks of Revelation in the Interpretation of the Qur'an - by Muhyi al-Sunnah, Abu Muhammad al-Husayn ibn Mas'ud ibn Muhammad ibn al-Farra' al-Baghawi al-Shafi'i (d. 510 AH) - edited by Abd al-Razzaq al-Mahdi - Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi - Beirut - 1st edition, 1420 AH.

• Keys to the Unseen or the Great Interpretation - by Fakhr al-Din Muhammad ibn 'Umar al-Tamimi al-Razi (d. 606 AH) - Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah - Beirut, 1421 AH.

• Introduction to the Principles of Interpretation - by Taqi al-Din Abu al-'Abbas Ahmad ibn 'Abd al-Halim ibn 'Abd al-Salam ibn 'Abd Allah ibn Abi al-Qasim ibn Muhammad ibn Taymiyyah al-Harrani al-Hanbali al-Dimashqi (d. 728 AH) - Printing, Publishing and Distribution - Cairo - 1st Edition, 1417 AH

• Al-Kashf wa al-Bayan 'an Tafsir al-Qur'an (Unveiling and Clarifying the Interpretation of the Qur'an) - Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim al-Tha'labi, Abu Ishaq (d. 427 AH) - Edited by: Imam Abu Muhammad ibn Ashur - Reviewed and Proofread by: Professor Nazir al-Sa'idi - Publisher: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut - Lebanon - 1st Edition, 1422 AH - 2002 CE

• 'Inayat al-Muslimin al-Lughah al-'Arabiyyah Khidmatan lil-Qur'an al-Karim (The Muslims' Care for the Arabic Language in Service of the Noble Qur'an) - Professor Dr. Ahmad ibn Muhammad al-Kharrat - Publisher: King Fahd Complex for Printing the Holy Qur'an

• 'Uyun al-Tafasir bi-Hadhf al-Takrir (The Essence of Interpretations with the Elision of Repetitions) - by Imam al-Husayn ibn Ibrahim al-Ghawwas (d. 829 AH) (Doctoral Dissertation) Three Volumes - Edited by: Husayn Abd al-Wahhab Husayn, Muhammad Hamid Awad, and Muhammad Nuri Hamah - College of Arts - Iraqi University - 1438 AH

• The Science of Exegesis: How It Originated and Developed Until Its Present Day - by Abd al-Mun'im al-Nimr (d. 1991 CE) - Publisher: Dar al-Kutub al-Islamiyya - Cairo - 1st Edition, 1405 AH.

• How to Deal with the Glorious Qur'an - by the scholar and thinker Dr. Yusuf al-Qaradawi (may God have mercy on him) - Center for Sunnah and Seerah Research - Qatar University, 1997 CE.

Nasr ibn Ali al-Baghdadi al-Muqri (d. 410 AH) – edited by Zuhair al-Shawish and Muhammad Kanaan – published by al-Maktab al-Islami – Beirut – first edition, 1404 AH.

● Nafahat min 'Ulum al-Qur'an (Glimpses of Qur'anic Sciences) – by Muhammad Ahmad Muhammad Ma'bad (d. 1430 AH) – published by Dar al-Salam – Cairo – second edition, 1426 AH. • A Critique of the Companions and Followers of Quranic Exegesis - by Abd al-Salam ibn Salih ibn Sulayman al-Jarallah. Supervised by: Professor Dr. Zahir ibn Awad al-Almai. Doctoral Dissertation: Imam Muhammad ibn Saud Islamic University - Faculty of Fundamentals of Religion - Department of Quran and its Sciences. Academic Year: 1427 AH.

● Al-Wadih fi Ulum al-Quran (The Clear Explanation of Quranic Sciences) - by Mustafa Dib al-Bugha and Muhyi al-Din Dib Misto. Dar al-Kalim al-Tayyib/Dar al-Ulum al-Insaniyya - Damascus - 1418 AH.

● Al-Wasit fi Tafsir al-Quran al-Majid (The Intermediate Guide to the Exegesis of the Glorious Quran) - by Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Ali al-Wahidi al-Nisaburi al-Shafi'i (d. 468 AH). Edited and annotated by: Sheikh Adel Ahmad Abd al-Mawjud, Sheikh Ali Muhammad Muawwad, Dr. Ahmad Muhammad Sira, Dr. Ahmad Abd al-Ghani al-Jamal, Dr. Abd al-Rahman Uways. Foreword and commentary by: Professor Dr. Abd al-Hayy al-Farmawi. Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon - 1415 AH.

published by Dar Maktabat al-Hayat, Beirut, Lebanon - edition: 1490 AH/1980 CE.

● Famous Scholars of the Cities - by Ibn Hibban - Press of the Committee for Authorship, Cairo, 1959 CE. • The Methodologies of Quranic Commentators - by Munayyi' ibn 'Abd al-Halim Mahmud (d. 1430 AH) - Publisher: Dar al-Kitab al-Masri - Dar al-Kitab al-Lubnani - Beirut - 1421 AH.

● The Concise Commentary on the Noble Book - by Abu Muhammad 'Abd al-Haqq ibn Ghalib ibn 'Abd al-Rahman ibn Tamam ibn 'Atiyya al-Andalusi al-Muharibi (d. 542 AH), edited by 'Abd al-Salam 'Abd al-Shafi' Muhammad, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya - Beirut, 1st edition - 1422 AH.

● The Quranic Encyclopedia - by Ibrahim ibn Isma'il al-Abyari (d. 1414 AH) - Publisher: Mu'assasat Sijil al-'Arab - Edition: 1405 AH.

● A Summary of the Principles of Quranic Exegesis - by Khalid ibn 'Uthman al-Sabt - Publisher: Dar Ibn al-Qayyim - Dar Ibn 'Affan - Edition: 1st, 1426 AH.

● Musnad of Imam Ahmad ibn Hanbal – by Abu Abdullah Ahmad ibn Muhammad ibn Hanbal ibn Hilal ibn Asad al-Shaybani (d. 241 AH) – edited by Shu'ayb al-Arna'ut, Adil Murshid, and others – supervised by Dr. Abdullah ibn Abdul-Muhsin al-Turki – published by Mu'assasat al-Risalah – first edition, 1421 AH/2001 CE.

● Al-Nasikh wal-Mansukh (The Abrogating and Abrogated Verses) – by Abu al-Qasim Hibat Allah ibn Salamah ibn